www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

سوريتنا

السنة الرابعة | العدد (163) | 2 تشرين الثاني 2014

الأمهات السوريات وحرمان يطال زيارة القبور

المنشآت العامة في الحسكة
أهداف عسكرية وخسائر بالمليارات

حكومة النظام تدخل المحروقات
ضمن مشروع (معقلة الدعم)

الخدمة في جيش النظام: غموض مصير
المؤجلين وتوضيحات بشأن الاحتياط

"السعودية ـ الدولة"
بذور التغيير تحت الشمس (1)

مقبرة شهداء القابون بدمشق | سوريتنا

منشآت عامة في الحسكة تتحول إلى أهداف عسكرية وخسائر بالمليارات تحت إدارة الـ «PYD»

■ الحسكة – عدنان أبو كنان

حاول النظام جاهداً خلال سنوات الثورة الأربع التشبث بإدارة المؤسسات الخدمية والاقتصادية بكافة قطاعاتها «زراعية - اقتصادية - صناعية - طاقة» حتى في المناطق الخارجة عن سيطرته عسكرياً في حال لم تنتزعها كتائب الجيش الحر أو جهات معارضة أخرى، إلا أن الأمر مختلف في مدينة الحسكة، حيث سلّم النظام - على الرغم من استمرار تواجده أمنياً في المدينة - إدارة مثل تلك المؤسسات لحارس الإدارة الذاتية الكردية «حزب الاتحاد الديمقراطي PYD».

وكانت مؤسسة المياه، ومديرية الري، ودائرة الري الحديث، ومصلحة المشاتل، ومراكز الحبوب، ومحلج الأقطان، ومركز الجمارك، وبعض الدوائر التابعة لمديرية الزراعة من أهم المؤسسات التي باتت تحت سلطة الـ «PYD»، وتحول معظمها إلى ثكنات ومعسكرات تدريب لمقاتلي الحزب، وباتت عرضة لهجمات عناصر تنظيم الدولة الإسلامية.

ويقول موظف سابق في مؤسسة إكثار البذار بالحسكة فضّل عدم الكشف عن اسمه «إنّ هجوماً انتحارياً نفذه عنصران من تنظيم الدولة الإسلامية على محلج المنشاري خلّف حريقاً أتى على أكثر من 40 ألف طن من الأقطان المحبوبة و10 آلاف طن من القمح. »

وقد بلغ وزن إجمالي الأقطان التالفة بسبب الهجمات المباشرة أو بقذائف الهاون على المحلج الخاضع لسيطرة «PYD» ما يقارب 210 ألف طن، و11 ألف طن من القمح حسب إحصاءات غير رسمية.

محلج الحسكة المنشاري نتيجة لسيارة مفخخة

وخلال أيام عيد الأضحى، استهدف تنظيم الدولة مبنى الطرق والمواصلات، ومركز الجمارك ومحلج الحسكة بثلاث سيارات مفخخة، وأكد مصدر مطلع في المدينة لسوريتنا خسائر تلك الهجمات تجاوزت مليار ليرة سورية.

ولا تقتصر خسائر منشآت القطاع العام في الحسكة على تلك التي تسببها هجمات تنظيم الدولة على خصمه المتمثل بوحدات حماية الشعب، فالأخير استولى على المخزونات الاستراتيجية التي تركها النظام من القمح والشعير والمشتقات النفطية في عموم المحافظة، ولا توجد إحصاءات دقيقة تقدر قيمة تلك المخزونات، إلا أن أحد المصادر المراقبة في المدينة يقدرها بالمليارات.

حريق القطن في مركز الحلج والتسويق بالمدينة

ويضيف المصدر «كافة الآليات الثقيلة، وحافلات النقل التي كانت في خدمة المؤسسات الحكومية في الحسكة، باتت تحت سيطرة عناصر الـ «PYD»، يستخدمونها في عملياتهم وتنقلهم، ولا يتم استغلالها في أي من الخدمات التي خصصت لها في منشآتها».

وكان أحد عناصر الـ «PDY» قال في تصريح صحفي سابق «نحن نحمي تلك المنشآت من السرقة والتخريب، ونحقق مصالح شعبنا، فلدينا نظام سيء ومعارضة أسوء»، إلا أن تلك المنشآت لا يبدو أنها نالت غير السرقة والتخريب تحت إدارة الوحدات التي نأت بنفسها عن النظام ومعارضته.

اعلام سوري يطلق حملة " أنتو الوجع" لمناهضة التعذيب في سجون النظام

أطلق "راديو ألوان" بالتحالف مع مجموعة صحفيين سوريين مستقلين اليوم السبت حملة "أنتو الوجع" لمناهضة التعذيب والمطالبة بالإفراج عن المعتقلين في سجون النظام السوري والفروع الأمنية بعد ارتفاع عدد المعتقلين والمفقودين في سجون النظام إلى أكثر من 200 ألف معتقل ومفقود حسب احصائيات المرصد السوري لحقوق الانسان.

و تهدف الحملة إلى التأثير في الرأي العام السوري بغية تشكيل بيئة داعمة نفسياً للمعتقلين وأسرهم والتأثير في الرأي العام السوري المؤيد للنظام من حيث إثارة خوف اهالي الأشخاص المسؤولين عن التعذيب من إمكانية الملاحقة في المحاكم الدولية، عن طريق ذكر اسماء وتوثيق كامل للأشخاص في الطبقات الدنيا من المعتقلات والسجون الذين يمارسون التعذيب بشكل مباشر.

ووثق القائمون على الحملة على مدار شهرين كاملين مقابلات مع معتقلين سابقين وحقوقيين تحدثوا فيها عن بعض أصناف عمليات التعذيب والتنكيل في المعتقلين السوريين من قبل النظام السوري، وأصدر "راديو ألوان" تقريراً مفصلاً عن بعض شهادات المعتقلين في سجن صيدنايا العسكري سيء السمعة وفرع الامن 215 الذي تمارس فيه عمليات تصفيه وإعدامات ميدانية للمعتقلين.

وبحسب تقديرات الشبكة السورية لحقوق الإنسان فإن الفرع مئتين

وخمسة عشر وحده يحتوي على ما لا يقل عن 7500 محتجز تُمارس عليهم جميعاً أفظع أساليب التعذيب.

و يشكل ما يجري في سجن صيدنايا من تعذيب ممنهج وإعدامات ميدانية، مخالفة صارخة للاتفاقيات الدولية المناهضة للتعذيب، وعلى رأسها اتفاقيات جنيف والميثاق العالمي لحقوق الإنسان ومعايير المحاكمة العادلة.

يؤكد أحد المعتقلين المفرج عنهم من فرع الامن 215 للحملة أن "النظام السوري قام بإعدام 150 معتقلاً أصابتهم أمراض معدية تخوفاً من انتقال العدوى لباقي المعتقل دون التفكير في علاجهم أو تقديم اللقاحات لهم".

حكومة النظام تدخل المحروقات ضمن مشروع (عقلنة الدعم)
سوق سوداء للمازوت في أحياء دمشق

تزداد أوضاع السوريين تعقيداً بفعل الحرب الدائرة في سوريا، ومع اقتراب فصل الشتاء، يطرق البرد والصقيع والمطر أبواب الناس ليصبح وضع المواطنين غاية في السوء، بسبب فقدان مادة المازوت، وبينما حكومة النظام تحاول أن تقنعهم بأنها استعدت لهذا الفصل، فإنها لا تملك في مستودعاتها مازوتاً، وأغلقت منافذ الأمل الممكنة ليتدبر هؤلاء شتاءهم القادم، فالسوق السوداء جعلت المازوت مقتصراً على الأغنياء وحرم الفقراء منه عنوة.

■ دمشق - طلال سلطان

في الأسبوع الماضي تفتق ذكاء حكومة النظام لمواجهة مطالب الناس بتأمين المحروقات التي مازالت مفقودة من أسواق البلاد ومنها دمشق، على حلين اثنين، أولهما الطلب من الناس التسجيل على المازوت بناءً على البطاقة العائلية (دفتر العائلة) في البلديات ومراكز افتتحتها لهذا الغرض، والثاني طرح مشروع عقلنة الدعم.

و يرى «أحمد» 40 عاماً «أن هذا العام سيكون أسوأ من سابقه لجهة العجز عن تأمين مازوت التدفئة، فيما يجزم أحد المحللين الاقتصاديين، بأن كل المؤشرات تدل على أن الحكومة لن تقدم شيئا في هذا المجال وستترك الناس بلا تدفئة».

في سياق ذلك استبقت حكومة النظام الشتاء برفع أسعار المازوت بنسبة 34٪، لتعويض ما تزعم أنه خسائر تلحق بخزينتها، ويوضح «حسام» وهو محلل لمصادر الطاقة في سوريا «أن كميات النفط المنتجة في البلاد لا تكفي الحاجة إطلاقاً، وما تستورده الحكومة من مشتقات يذهب لحاجات أخرى، ولن تكون تلبية احتياجات الناس على رأس أولويات الحكومة، بل لن تنظر إليها بجدية أبداً».

وتفيد بعض التقارير الداخلية في وزارة النفط والثروة المعدنية أن حجم انتاج النفط لا يتجاوز 10 آلاف برميلا في اليوم، مقابل نحو 385 ألف برميل يوميا قبل اندلاع الثورة. وتعتمد الحكومة على استيراد مشتقات نفطية من ايران وفقا للخط الائتماني الذي استهلكته عن بكرة أبيه، فاتجهت الأنظار إلى روسيا الشريك الأخر لتعويض النقص الحاد في التمويل.

وتزعم الحكومة أنها تقدم دعماً كبيراً لمادة المحروقات، تجاوز خلال الشهور التسعة الأولى من العام الجاري مبلغ 195 مليار ليرة، أي أنه أزيد بقليل عن مبلغ مليار دولار. وهو المبلغ ذاته الذي كانت تقدره حكومات سابقة بأنه يذهب تهريباً على مدار العام، فتضخم الكتلة المالية التي تذهب لدعم المحروقات، ليس ناجماً عن كميات استهلاك كبيرة للمادة، بل نتيجة الخسارة الكبيرة التي تعرضت لها الليرة أمام العملات الأجنبية وفقدانها نحو ثلاثة أرباع قيمتها على مدار 42 شهراً متتالية منذ آذار 2011.

هذه الحالة دفعت حكومة النظام إلى إحياء مشروع إعادة هيكلة الدعم وايصاله لمستحقيه، تحت عنوان (عقلنة الدعم) الذي يقضي برفع أسعار الطاقة إلى سعر الكلفة، أي تحرير أسعارها، وإصدار نشرة أسبوعية تحدد سعر المازوت والبنزين من قبل وزارة النفط وفقا للسعر العالمي. ويرى «سعد الدين» المدرس في كلية الاقتصاد «أن الحكومة تتجاهل مسألة التعويضات التي يجب أن تقدم للمتضررين، وهو ما سيؤدي إلى اندثار طبقات أخرى كمحدودي الدخل وصغار المنتجين، واختفائها من الساحة، دون رأفة، قبل الحديث عن انضمام طبقات أخرى إلى قائمة الفقراء والمعوزين».

وانتشرت في دمشق سوق سوداء للمازوت، يرعاها متنفذون حكوميون وأمنيون، يباع الليتر الواحد من المازوت المتوفر ما بين 200 إلى 250 ليرة، ولسائقي وسائل النقل في دمشق خصوصاً أماكن محددة في مختلف الأحياء لشرائها، ويتساءل «جمال» أحد سائقي الحافلات العاملة في دمشق «عن كيفية توفر المازوت على قارعة الطريق، وعدم توفره في محطات الوقود بالسعر النظامي»، ويضيف «اللعبة مكشوفة وواضحة لنا، من يبيع المازوت بالسوق السوداء هو نفسه من يحرم محطات الوقود منه».

وحددت الحكومة منذ طرحت مشروعها سعرين لمادة المازوت 80 ليرة لأربعة قطاعات هي النقل والمواصلات، التدفئة، الزراعة، الأفران التموينية، و150 ليرة لسبعة قطاعات هي الصناعي والتجاري الخاص، السياحي، الصحي الخاص، التعليمي والتربوي الخاص، المناطق الحرة، المؤسسات المالية الخاصة، السفارات والهيئات الدبلوماسية والمنظمات الدولية، حسب قرار لوزارة النفط.

الائتلاف يطالب المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته تجاه المعتقلين في سجون النظام

طالب الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته تجاه المعتقلين السوريين في سجون النظام، والقيام بما يضمن إطلاق سراحهم، ومحاسبة المسؤولين عن الأعمال التي ترتكب بحقهم.

واستنكر رئيس الائتلاف، هادي البحرة، ما اعتبره "عدم الاكتراث بقيمة الإنسان السوري" من قبل المجتمع الدولي، محذراً من التهاون في هذه المسألة، وجاء تصريح البحرة بعد تأكيد فريق من المحققين المختصين في جرائم الحرب، وجود "أدلة واضحة" على أن قوات النظام مارست التعذيب والإعدام الممنهج بحق آلاف المعتقلين، منذ شهر آذار عام 2011.

واعتبر "البحرة" كل من يمتنع عن مساعدة المعتقلين "شريكا في الجرائم المرتكبة بحقهم"، وآخرها ما وقع لمعتقلي بلدة القريتين بريف حمص، حيث أكدت التقارير مقتل 44 معتقلاً من أبناء البلدة تحت التعذيب.

وتشير إحصائيات غير رسمية إلى أن عدد معتقلي الرأي في سوريا تجاوز 263 ألفاً منذ اندلاع الثورة السورية في آذار 2011.

أطفال سوريا كارثة العصر الحديث

■ مها الخضور

اجتمع في برلين ممثلو 40 دولة للبحث في الأزمة السورية وتقديم بعض الدعم المالي للمتضررين، وأجمعوا على توصيف الأزمة بأنها الأضخم والأعقد خلال العصر الحديث، كونها تسببت بمقتل مئات الآلاف من السوريين وتشريد الملايين منهم داخل سوريا وخارجها. كما قدمت ماريا كالفيس (مسؤولة منظمة يونيسيف في الشرق الأوسط) تقارير منظمتها حول الوضع في سوريا. والتي تشير إلى أن أحداث العنف أجبرت نحو 3 ملايين سوري على الفرار خارج سوريا منذ العام 2011، بالإضافة إلى اضطرار أكثر من 7 ملايين مواطن سوري للتنقل داخل سوريا بحثاً عن الأمان لهم ولعائلاتهم. لكن الرقم المؤلم بين كل الأرقام والإحصائيات هو عدد الأطفال الذين تأثروا بالحرب الدائرة في البلاد، حيث بلغ عددهم نحو ستة ملايين طفل، وتعليقا على هذا الرقم قال وزير التنمية الألماني جيراد مولر: "إننا نواجه كارثة العصر الحديث التي تتفاقم يوماً بعد يوم، ولعل أبشع صورها هي صورة الأطفال السوريين وهم يفترشون الطرقات والحدائق العامة في كل من لبنان وتركيا وشمال العراق".

بمقارنة الأرقام والإحصائيات التي قدمتها كل من اليونيسيف والأمم المتحدة في اجتماع المانحين عن أوضاع السوريين في العام الحالي وأوضاعهم في الأعوام السابقة، نستطيع تلمُس مدى الدمار الذي لحق ببلدنا ويكاد أن يقضي على كل شيئ، ففي تقارير العام الحالي ثمة نحو 3 ملايين طفل سوري أجبروا على ترك أماكن سكنهم والانتقال للعيش في مناطق أخرى داخل سوريا، بينما سجّل هروب نحو 920000 طفل في السنة الماضية، و260000طفل لاجئ في قوائم اللاجئين السوريين خلال العام 2013، العدد تضاعف عدة مرات خلال هذه السنة ليصبح 1200000 طفل، وربما يكون الأكثر إيلاما في قراءة هذه الأرقام أن نعرف أن من بين هؤلاء الأطفال اللاجئين لهذا العام هناك نحو 425000طفل ممن هم دون الخامسة.

لقد فقد الأطفال مدارسهم، أهلهم، أصدقاءهم وبيوتهم، وتركوا لمواجهة مصائرهم بأنفسهم وكأن العالم كله يريد المشاركة في محنتهم وموتهم، لا بل أن مؤتمراً يعقد تحت عنوان تلبية احتياجات اللاجئين السوريين وتقديم الدعم اللازم، في حين نجد دولاً ومنظمات قد أعدت العدة وحضرت لتنال حصتها من الدعم في موسم التسول باسم السوريين.

السيدة عبير زيادة (مسؤولة الفرع الأردني لمنظمة "أنقذوا الطفولة")، حضرت باسم منظمتها الدولية المعروفة، لكنها وجدت المناخ مناسبا لنقل الصورة التي يريدها الأردن وللتذمر وإبداء العجز إزاء قضية اللاجئين السوريين هناك، وتحدثت قائلة: "إن الأردن أظهر كل الكرم والترحيب تجاه الوافدين السوريين، وقد استقبل بالفعل نحو ثلث العدد الإجمالي من أعداد اللاجئين في دول الجوار، لكنه - أي الأردن - يعاني أساسا من مشاكل اقتصادية تمنعه من تحقيق جميع احتياجات هذا العدد الكبير من الوافدين، كما أنه بات بحاجة حقيقية لمساعدات إضافية تخفّف عنه وطأة عبء اللاجئين السوريين". أما لبنان فقد أرسل تمام سلام لنفس الغرض، إذ أنه وبعد لقائه بأنجيلا ميريكيل ليلة الاثنين دفعها للتصريح قائلة: "إن لبنان بلد عدد سكانه نحو 4 ملايين نسمة.. وكونه يستقبل أكثر من مليون لاجئ لا بد أنه يعاني كثيراً، أما نحن فلا يسعنا سوى الدهشة، كيف استطاع استقبال هذا العدد الضخم من اللاجئين".

منذ ما يقارب الأربع سنوات والعالم يشهد ما يجري في سوريا، وعلى الأخص ما حلّ بأطفالها، ففي سوريا قُتل الأطفال وعُذبوا وهُجروا، أو أنهم أجبروا على القيام بمهمات عسكرية قتالية مما تسبب بمقتل الكثيرين منهم، أو إصابتهم بجراح بليغة، ولم يقدّم هذا العالم أكثر من بعض عبارات التعاطف الخجولة أو لربما بعض الأموال التي غالباً ما تضل طريقها قبل الوصول لأيدي من يحتاجها من السوريين. إذ أن هناك الكثير من المتنفعين من أزمتنا ومن موت أطفالنا، وهؤلاء لا يعنيهم أسماء وقصص السوريين، بل إن كل ما يهمّهم هو توثيق أعداد الضحايا السوريين في هذه الحرب القذرة والاستفادة منها قدر استطاعتهم سواء كانوا منظمات أو حكومات أو ما شابه.

في ملجأ "بيت الرجاء" في لبنان يعيش عبد الله 7سنوات، وعند سؤاله عن مدة إقامته في الملجأ قال إنه لا يعرفها بدقة، لكنه يتذكر اليوم الأول أثناء قدومه إلى الملجأ بفرح: "كان يوما جميلا لأن الأطفال كانوا يحتفلون، وأذكر أنهم أعطوني هدية وبعض الملابس و(شحاطة) ففرحت كثيرا". بعد مقتل كافة أفراد عائلته في إدلب إثر سقوط برميل متفجرات فوق منزلهم، اختبأ مع عمه في إحدى الكنائس القديمة، لكن قوات الأمن عثرت عليهما واعتقل الصبي والعم لأشهر، وبعد الإفراج عنهما ذهبا إلى لبنان وهناك لا يتذكر الصبي سوى أن عمه قام بإيصاله إلى الملجأ وبعدها انقطعت أخباره.

ماهر طبراني مدير مؤسسة بيت الرجاء يقول: "خلال هذا العام فقط جاء إلى الملجأ 20 طفل سوري لم يصحبهم أحد وأغلبهم فروا مع أقارب من الدرجة الثانية أو برفقة جيرانهم بعد وفاة ذويهم بسبب الحرب، أعمارهم تتراوح بين 7 - 12 عام".

بلغ عدد الأطفال السوريين الذين فروا من البلاد غير مرفقين بذويهم أو بمن يستطيع إعالتهم ما يزيد عن 4000 طفل، وتؤكد منظمة الأمم المتحدة أن لبنان وحده يضم حوالي 2500 طفلا من هؤلاء. بعض الأطفال يجدون السبيل إلى إحدى العائلات السورية التي تقبل برعايتهم رغم الفقر، والبعض الآخر لربما استطاع الوصول إلى أحد الملاجئ مثل "بيت الرجاء"، لكن الغالبية العظمى من هؤلاء الأطفال تجدهم يتسولون في الشوارع، أو ربما يبيعون العلكة أو المحارم، وتطلق الحكومة اللبنانية عليهم اسم "أطفال الشوارع".

"ديكوستامين" مضاد للعنصرية اللبنانية تجاه السوريين

بعد تزايد أعداد اللاجئين السوريين في لبنان، والأحداث العنصرية التي يتعرضون لها، إضافة إلى أحداث عرسال وطرابلس، وإغلاق الحدود بوجه الهاربين من الموت السوري إلى لبنان، أطلق عدد من الشبان السوريين واللبنانيين، مبادرة أسموها "ديكوستامين" لتخفيف الاحتقان الحاصل بين الشعبين. وتعود التسمية إلى الدواء معالجة الاحتقان المعروف " ديكوستامين".

وبحسب تصريحات القائمين على المبادرة لوسائل الإعلام، سيعمد المشاركون إلى زيارة المسؤولين اللبنانيين، خاصة في وزارات الداخلية والدفاع والصحة، للتأثير على الممارسات السلبية التي تمارس بحق اللاجئين السوريين، والتي من شأنها رفع مستوى الاحتقان بين الطرفين.

وستترافق المبادرة مع أنشطة ثقافية وفنية، يشارك فيها فنانون تشكيليون من البلدين، وسينضم إلى المبادة وجوه معروفة وقادة رأي من العقلاء في البلدين، لإحداث التأثير الإيجابي المطلوب على الشارع اللبناني.

برلمان الأسد يرفع سعر جواز السفر ويشدد القيود عليه

أقر برلمان نظام الأسد قانون جديداً، يحدد المبلغ المالي المفروض للحصول على جواز السفر، ويحدد قيود جديدة على المواطنين المقيمين في الداخل والخارج.

حكومة الحلقي التابعة لنظام الأسد، تقدمت بمشورع القانون لمجلس الشعب في 21 - 9 - 2014، الذي وافق بدوره على القانون الخاص بمنح وإصدار وثائق السفر، وقيمتها وكيفية استخدامها والعقوبات والغرامات المترتبة على مخالفة أحكامه

وكانت حددت المادة الثانية من المرسوم التشريعي رقم 60 لعام 2004 قيمة الجواز أو وثيقة السفر المنصوص عليها في المادة التاسعة من القانون رقم / 42 / المؤرخ في 31 / 12 / 1975 وتعديلاته بمبلغ / 1500 / ليرة سورية.

إلا أن التعديلات الجديدة التي أقرها مجلس الشعب قضت برفع قيمة جواز، أو وثيقة السفر إلى 4 آلاف ليرة، وفق نظام الدور و15 ألف ليرة بصفة مستعجلة.

الأمر الذي يراه محللون محاولة من نظام الأسد لتدعم اقتصاده المنهار منذ ثلاثة سنوات، ولتشديد القيود على المواطنين الباقيين تحت سيطرته ومنعهم من التحرك بحرية ومغادرة البلاد.

يذكر أن مؤسسة "هنلي" أصدرت مؤشرها السنوي المتعلق بالقيود على التأشيرات بين الدول، وقال تقريرها إن الجواز السوري يحتل المركز السادس عشر عربياً و178 عالمياً.

ريما فليحان ترد على "أورينت نت"

أثار تقرير نشره موقع "أورينت نت" بعنوان "من هوالصحفي الكردي الثائر الذي عاد إلى حضن الوطن ومن ساعده؟" استياء الناشطة الحقوقية ريما فليحان، معتبرةً أن التقرير، كُتب بأسلوب يفتقر إلى الدقة والمهنية، ويكيل التهم للناس دون أي موضوعية.

ونفت فليحان في ردٍ نشره "أورينت نت" عملاً بقوانين الصحافة المستقلة، ما ذكره الموقع حول أن الصحفي المقصود في التقرير دلبرين موسى كان يتقاضى راتباً شهرياً "بمعيّتها" من مكتب الائتلاف الإغاثي للائتلاف في الأردن، واصفةً ما أورده الموقع بهذا الشأن بالكذب والافتراء، وأوضحت فليحان أن دلبرين وصل إلى الاردن بوضع سيء جداً، وحصل على مساعده مالية بسيطه بمبلغ أقل بكثير من الرقم الموضوع في الاورينت ولمرة واحدة، وهي مساعدة قُدمت له ولكثير من العائلات التي وصل عددها إلى 1500 عائلة شهرياً."

وكانت "أورينت نت" طرحت تساؤلات في التقرير حول من ساعد الصحفي "دلبرين موسى" أثناء تواجده في الأردن، وأمدّه بمساعدات مالية، وذكر التقرير أن دلبرين عمل في مؤسسات ثورية اعلامية، منها قناة "سوريا الشعب" التي تولت ريما فليحان إدارتها لثلاثة أشهر، وقناة سوريا الشعب، وإذاعة هوا سمارت، من ثم عاد بوساطة أصدقائه لدى النظام إلى حضن الأسد، حسبما نقل "أورينت نت."

واللافت في رد ريما فليحان إشارتها إلى أنها لا تعلم بالفعل مدى صحة خبر عودة دلبرين إلى سوريا من عدمه، وقد فوجئت بالخبر عندما قرأته في "الأورينت نت"، معتبرةً أن هذا الأمر يخص دلبرين وحده.

محافظة دمشق قررت مقارعة الكلاب، ففتكت بالقطط

اعتاد السوريون في السنوات الثلاث الماضية أن يفتتحوا صباحاتهم على وقع القذائف وأخبار المجازر التي يرتكبها النظام بحق مواطنيه، إلا أن ما لفت أنظار سكّان دمشق خلال الأسبوع الفائت، هو تناثر جثث القطط النافقة في شوارع المدينة وعلى أرصفتها.

ويؤكد توضيح نشره قسم مكافحة الأمراض المشتركة في محافظة دمشق أن قرار الإعدام كان يستهدف الكلاب الشاردة، حيث ذكر القسم أن فرقه وضعت طعوماً سامةً في حاويات المدينة بتوجيهات من المحافظ للقضاء على الكلاب الشاردة، إلا أن طبيعة الطعوم المكونة من رؤوس الدجاج الممزوجة بمواد سامة، دفعت القطط الشاردة أيضاً إلى التهامها والوقوع تحت تأثير السم المميت.

وأوضح القسم أنه سيتخذ المزيد من الحيطة والحذر في المرات المقبلة، على الرغم من أن دس الطعوم السامة في الحاويات جاء بإشراف المخاتير ولجان الأحياء والفعاليات الشعبية والحكومية حسب تأكيد القسم في إعلانه.

الأمهات السوريات وحرمان يطال زيارة القبور

■ درعا - سارة الحوراني

لا يقتصر الألم على رحيل الابن لدى الأم السورية وفقدانه وضياع حلمها برؤيته يكبر يوماً بعد يوم أمام ناظريها، بل يمتد ويتعاظم مع صعوبة زيارة قبره وأحياناً معرفة مصيره المجهول في غياهب سجون النظام السوري.

ما تزال «عليا» تشتري الملابس الجديدة لابنها على الرغم من مرور عام ونصف العام على رحيله ليس بالعيد فقط بل وحتى في بداية المدارس، وكسوته الصيفية والشتوية، وتحرص أن تنتقي الأجمل من الملابس لتليق بولدها الذي دفن بعيداً عنها في الأردن. ابنها «أحمد» البالغ من العمر، ثماني سنوات كان قد أصيب بشظية في رأسه نتيجة قصف حارته بقذيفة هاون في حي طريق السد في مدينة درعا، من قبل قوات النظام السوري، نقل على أثرها عبر رحلة شاقة إلى الحدود الأردنية ومن ثم إلى المشفى المخصص للمصابين القادمين من الأراضي السورية، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة لحظة دخوله غرفة العمليات، ليتم دفنه في الأردن.

لم يكن «أحمد» الطفل الوحيد الذي أصيب في القصف، فقد أصيب أيضاً ابن خاله وأحد أصدقائه، وفيما بترت ساق الثاني خرج الأول بإصابة طفيفة في يده.

حاولت «أم أحمد» زيارة قبره أكثر من مرة لكنها واجهت الكثير من الصعوبات، فلا يمكنها الذهاب عبر معبر نصيب الحدودي مع الأردن لأنها لا تمتلك جواز سفر يسمح لها بالمرور بشكل نظامي، وإن ملكته فهي مهددة بالاعتقال كونها أم شهيد وزوجها على قائمة المطلوبين للأمن السوري، الطريق الآخر هو الدخول بطريقة غير شرعية عبر منطقة رويشد لكنها تشكل رحلة خطرة ولابد من المجازفة أثناء مرورها من محافظة السويداء حيث تقع ضمنها منطقة رويشد.

تكلف الرحلة إلى الأردن ما يزيد عن 25 ألف ليرة سورية للشخص البالغ وقد تمتد لأكثر من شهر (في حال تم العبور) فيما تكلف الرحلة المضمون دخولها أكثر من 125 ألف ليرة سورية للشخص الواحد، وكثيراً ما تعرضت قوافل الهاربين إلى الاعتقال من قبل حواجز الأمن واللجان الشعبية في تلك المنطقة واعتقل عدد من المسافرين ومنهم من بقي مفقوداً حتى اليوم، لذلك فضلت عدم المخاطرة بانتظار يوم قريب تتمكن فيه من زيارة قبر أحمد وقراءة القرآن وغرس شجرة زيتون فوق قبره، وفي كل فرصة سانحة حتى هذا اليوم، تمارس هذه الطقوس على قبر أي شهيد تستطيع الوصول إليه.

«أم خالد» سيدة في الثمانين من عمرها قتل ابنها قبل عامين برصاصة أطلقها قناصة النظام السوري المنتشرون على الأبنية المرتفعة والتي تشرف على حيها في درعا البلد، يشكل العيد الفرصة الوحيدة لزيارة قبره الواقع في درعا المحطة.

فالمكان المخصص لدفن الموتى في تلك المنطقة المسيطر عليها من قبل قوات النظام السوري تحول إلى منطقة عسكرية، ومنها تقصف المدافع والدبابات التابع للنظام الأحياء المحررة في مدينة درعا (المخيم، طريق السد، درعا البلد) وشيدت المتاريس العسكرية على مداخله، لذلك يمنع الدخول إليه باستثناء يوم العيد ولوقت قصير لا يتجاوز العشر دقائق فقط.

غالباً ما تقف «أم خالد» بالقرب من السياج الذي يفصل الشارع العام عن المقبرة لتسترق بعض النظرات إلى قبر ولدها، لكن أصوات الجنود سرعان ما تأمرها بالابتعاد وتنهرها بعدم المرور مرة أخرى من المكان.

كثيرةٌ هي المرات التي اجتازت «أم خالد» المكان وغالباً ما تخاطب ولدها معتذرة عن عدم زيارته ودموعها لا تفارقها، وحتى بعد وصولها إلى منزلها يأخذها البكاء دون توقف لساعات، لكن عزاءها الوحيد احتضان أحفادها وتأمين حياة كريمة لهم في ظل غياب والدهم.

يبقى العيد الفرصة الوحيدة لزيارة قبره حيث تقوم بالتحضير قبل عدة أيام لشراء بعض الحلوى التي يحبها وصناعة القهوة العربية، وتأمين بعض النقود ذات الفئات الصغيرة توزعها على الأطفال خلال طريقها إلى المقبرة، في استعادة حزينة لتقاليد زيارة القبور زمن السلم.

بطاقة شخصية وبعض المقتنيات الخاصة وورقة كتب عليها بأن علي توفي لأسباب صحية في المعتقل، هذا كل ما وصل إلى أهله، فقد اعتقل منذ ثلاث سنوات من قبل قوات الأمن السوري في مدينة درعا لنشاطه الإغاثي والطبي.

لم تدخر العائلة أي جهد أو مال في سبيل معرفة مكان ولدها أو حتى معرفة حالته الصحية فذهب المال إلى ضباط الأمن السوري دون أي فائدة، لتصلهم لاحقاً أخبار تفيد بأن علي قد توفي في السجن منذ سبعة أشهر تحت التعذيب، في حين تم تسليمهم بعض المقتنيات الخاصة وورقة كتب عليها توفي لأسباب صحية.

ترفض «أم علي» الاعتراف بوفاة ولدها قائلة: «بغياب الجثة لا شيء مؤكد، إحساسي يخبرني بأنه ما يزال حياً في مكان ما». ولعل زيارة المعتقلين المفرج عنهم تشكل هاجساً بالنسبة فمن خلال تلك الزيارات تسعى لاستقصاء أي خبر عن ولدها، لكن، للآن، لم تصلها أي إشارة تدل على وفاته أو بقائه حياً «لو مات ووجد له قبر لهان علي الأمر لكن أن يبقى مجهول المصير، ويتلقى أشد أنواع التعذيب في كل لحظة أمر لا يمكن احتماله والتعايش معه».

مقبرة الشهداء في القابون بدمشق

غرافيتي على أسوار مقابر النبك .. أملاً بـ "السلام"

أطلق ملتقى "سوريّات يصنعن السلام"، مبادرة بعنوان "جدران السلام"، قام خلالها متطوعون من عدة مدنٍ سورية، برسم تسع لوحاتٍ فنيّة على جدار مقبرة مدينة "النبك" التي تقع على الطريق الدولي شمالي دمشق، لتكون هذه المبادرة انطلاقة لمشاريع مماثلة، تحمل الطابع ذاته بمدنٍ أخرى في سوريا، و"بناء جدران سلام سورية بمكوناتها، ومدلولاتها، وصانعيها. "، وذلك بحسب ما أكدّت مديرة المشروع أميرة مالك لشبكة CNNالاميركية.

وعن سبب اختيار جدران المقابر قالت مديرة المشروع: "من الموت.. إلى الحياة، تلك هي الفكرة التي أردنا إيصالها عبر هذا الخيار، جدار يكون خلفه الموت، وأمامه الحياة، ليسَ استخفافاً بالموت، وإنما لنؤكد أننا نريد الاستمرار، والتعلم من جرحنا، دون أن نتوقف. "

وأكّد القائمون على هذا المشروع بأنهم يسعون في الربيع المقبل، لتلوين جدار مقبرةٍ آخرى، بمدينةٍ أخرى، بين عدة مدنٍ سوريّة، باتت مسارح للموت، والخراب.. "أملاً في صنع السلام.. وولادة الحياة من قلب الموت. "

ويقوم فن الغرافيتي على الرسم والكتابة على الجدران في الشوارع بطرق ملفتة للنظر، بألوان مفعمة و وخطوط مبتكرة، وقد تكون الكتابات والرسوم عبارة عن شعارات ورموز تخدم قضية ما، ويسعى أصحاب العمل إلى الترويج لها من خلال هذا الفن.

الخدمة في جيش النظام: غموض مصير المؤجلين دراسياً وتوضيحات بشأن سحب الاحتياط

لم يكن حلم الإفلات من الخدمة الإلزامية في جيش النظام صعب المنال، قبل أن يشدد النظام قوانينه في هذا الصدد ويطلب شباناً من المسجلين في الاحتياط للالتحاق في الخدمة.

ويقول ناشط في مناطق سيطرة النظام بحلب فضل عدم ذكر اسمه: «إن حملات النظام في سحب الاحتياط والسوق للخدمة طالت طلاباً في الدراسات العليا، وشباناً أنهوا خدمتهم قبل أكثر من خمس سنوات.»

وفي ظل عدم صدور إعلان من أي جهة رسمية يوضح الشروط التي أخذ بها النظام لسحب عناصر الاحتياط، أو للسوق إلى الخدمة الإلزامية أول مرة، نشرت شبكة «دمشق الآن» الإخبارية الموالية للنظام تفاصيل قالت إنها نقلاً عن مصدر أمني، توضح بعض النقاط الغامضة في سحب الاحتياط.

وذكرت الشبكة أن الموظّف المطلوب للاحتياط يفصل من وظيفته ويعاقب بالسجن خمس سنوات كما يغرّم بمبلغ مالي في حال تخلفه، في حين يعود الموظف إلى عمله بعد إنهاء مدة الاحتياط في حال التحق بها حين الطلب.

وأوضحت أن طلب الاحتياط يتم حسب حاجة التشكيلات العسكرية والاختصاصات، وتتراوح مواليد العناصر الذين يمكن طلبهم للاحتياط بين عامي 1973 و 1991 ، وأشارت الشبكة إلى أن المسرّحين صحياً يعفون من خدمة الاحتياط في حال استمر عذرهم الصحي، باستثناء اختصاصات التمريض.

وفيما يتعلق بإذن السفر، ذكرت «دمشق الآن» أنه على الشخص

المشمول بالفئة العمرية لعناصر الاحتياط دفع مبلغ 50 ألف ليرة سورية للحصول على إذن السفر تعود إليه لدى عودته من السفر ولا يحق له المطالبة بها في حال لم يسافر.

أما بالنسبة للمغتربين، يعفى الشخص من خدمة الاحتياط لمدة عام في حال أرسل سند إقامة قانوني، في حين يتم استدعاؤه أصولاً إذا لم يثبت إقامته.

وعلى الرغم من تلك التوضيحات، تبقى المخاوف محيطة بالشبان المؤجلين دراسياً، ويؤكد بعضهم أن الحواجز الأمنية تعمل بمزاجية، وبعضها لا يعتدّ بوثائق التأجيل الدراسي، مؤكدين أن طلاباً جامعيين مؤجلين دراسياً اعتقلتهم حواجز تابعة للنظام بحجة التخلف عن الخدمة الإلزامية.

التحالف الدولي يتسبب بغلاء المعيشة في الرقة

■ دمشق - أنليل فارس

شهدت مدينة الرقة خلال الأسابيع الأخيرة ارتفاعات متواترة في أسعار الوقود والمواد الغذائية، تراوحت بين 100 و400٪، الأمر الذي رده ناشطون إلى ضربات التحالف الدولي ضد تنظيم «الدولة الإسلامية»، بينما قال أحد القائمين على حملة «الرقة تذبح بصمت» الناشط الإعلامي أبو إبراهيم الرقاوي، لـ«سوريتنا»، إن «الرقة تشهد غلاءً فاحشاً، مقارنة بما كان عليه الحال قبل بدء ضربات التحالف، وخصوصا في أسعار المحروقات بعد استهداف قوات التحالف لآبار ومصافي النفط في ريف المدينة، حيث لجأ أغلب الأهالي إلى التقنين إلا في الحالات الضرورية، والاستعاضة عن المحروقات بمواد أولية كانت تستخدم قديماً من قبل أجدادنا، فهناك إقبال شديد على استخدام مدافئ الحطب، واستخدام الكاز في الطبخ والإنارة حيث يتمتع بسعر منخفض مقارنة مع البنزين والمازوت، أما بالنسبة لوقود آليات النقل فيستخدم الأهالي في الأغلب البنزين المكرر، وهو رخيص الثمن إلا أنه يسبب ضرراً كبيراً على الآليات».

أما من ناحية الخبز وهو المادة الأساسية في الوجبة الغذائية لأهل الرقة، فقد بين «الرقاوي» أن الحصول عليه يتطلب الوقوف لساعات أمام الأفران، ووصل سعر ربطة الخبز التي تحوي ما بين 19 ـ21 رغيف إلى 250 ليرة، ما دفع أهالي ريف المدينة إلى الخبز في منازلهم.

وبخصوص المواد الغذائية يوضح «الرقاوي»: «أن أهالي الرقة يقومون بشراء المواد الأساسية للحياة بالحد الأدنى، عبر ما يتوفر معهم من المبالغ المالية، في ظل ظروف معيشية صعبة من توقف أعمالهم، وقطع النظام لرواتب بعض الموظفين واشتراطه عليهم التوجه لأقرب نقطة يتواجد فيها كي يتابعون عملهم في مناطقه، وبالتالي يقوم بصرف رواتبهم، إلا أن هناك مخاوف كبيرة لدى الموظفين من الاعتقال من قبل النظام، عقب تعرض العديد من الموظفين للاعتقال لدى توجههم لاستلام رواتبهم».

وذكر «الرقاوي» أن «سعر لتر البنزين النظامي كان 225 ليرة ووصل بعد الضربات لـ300 ليرة، أما لتر البنزين المكرر فكان بـ75 ليرة وصل إلى 150 ليرة، كذلك المازوت كان يباع بـ75 ليرة وصل إلى 150 ليرة».

من جانبه، قال «محمد الفراتي» إن «الرقة مازالت تشهد عدد من النشاطات الاقتصادية البسيطة مثل بيع الخضار والاتجار ببعض المواد الأساسية، إضافة إلى العمل في قطاع النفط من نقل وتكرير وبيع».

وعن واقع الخدمات، لفت إلى أن «واقع الكهرباء سيء جداً، حيث تصل ساعات التقنين إلى 20 ساعة، ما يدفع الناس إلى الاعتماد على مولدات الكهرباء المنزلية»، مضيفاً أن «مياه الشرب مرتبطة بالكهرباء لأنها تستجر من النهر ومن بعض الآبار، عبر مضخات المياه، ولكن مع فصل الشتاء والمطر والسيول تصبح المياه غير قابلة للشرب».

وأضاف «الفراتي» أن «هناك من يتلقى في الرقة تحويلات مالية من تركيا والأردن، ولكنها قليلة تكاد لا تذكر، وهي لا تتم عبر شركات تحويل منظمة، بل عبر الأمانة ومكاتب غير منظمة».

كما أن الواقع الاقتصادي السيئ - وفق تعبير الفراتي - أرخى بظلاله على الواقع الاجتماعي، فصار من النادر أن يسمع عن مناسبة زواج، لأن العائلات لا تمتلك ثمن طعامها فكيف لها أن تزوج أبناءها، ولفت إلى أنه قد تكون هناك حالات طلاق لكن المجتمع المحافظ يتكتم على موضوع الطلاق لما له من مدلولات اجتماعية سيئة.

يشار إلى أن الرقة هي أول محافظة سيطرت عليها فصائل المعارضة المسلحة، «نصرة وأحرار الشام»، ليأتي بعدها تنظيم داعش، ويفرض سلطته على المحافظة، ويفرض رسوماً على المحال والناس باسم تطبيق الدولة الإسلامية.

(مو وقتا) لجبهة النصرة وجبهة ثوار سوريا

أطلق عدد من النشطاء، حملة عبر شبكات التواصل الاجتماعية، بعنوان "مو وقتا"، وذلك على خلفية الاقتتال الدائر، بين جبهة النصرة وجبهة ثوار سوريا في ريف ادلب، الاقتتال الذي ذهب ضحيته عدد من المدنيين بين جريح وشهيد.

اعتمدت الحملة على لافتات أو ملصقات حملت عبارات تعبر عن رفض الخلاف بين الطرفين وتدعو للصلح، ويظهر في الصفحة الرسمية للحملة صور لتلك اللافتات يحملها سوريون في مناطق مختلفة من العالم.

مطلقو الحملة أصدروا بيانهم الأول، مطالبين فيه بإيقاف ما وصفوها "الحرب البشعة التي ستأكل الاخضر واليابس، والمستفيد الوحيد منها هم أعداء الشعب السوري من النظام وأعوانه" وذلك على حد وصف بيان الحملة.

عيد الرعب السوري اليومي بوجود الأسد

"عيد الرعب السوري اليومي بوجود الأسد"، هو عنوان لدعوة أطلقها نشطاء عبر موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" بمناسبة حلول عيد الهالويين أو عيد القديسين، الذي يحتفل به العالم مرة واحدة في العام بتاريخ 31 تشرين الأول، ولكن مع التجربة السورية الأمر مختلف.

يقول مطلقو الدعوة عبر صفحتهم "عيد الهالويين.. عيد الرعب.. عيد الخوف.. عند بعض الشعوب الذين ربما لم يخطر ببالهم أن هناك شعباً يعيش الرعب يومياً.. يعيش الخوف بكل لحظة من لحظات حياته".

وتضيف الدعوة: "هل من رعب أكبر من أن تخرج من منزلك لا تعلم هل ستعود أم لا! هل من خوف أكبر من أن تسمع صوت القصف ولا تعرف إن كانت القذيفة المنطلقة ستأخذ حياتك أو حياة أحد أحبتك! هل من موقف أقسى من أن ترى الخوف بعيون الأطفال ولا تستطيع عمل شيء لتخفيف روعهم!.. هذا ما نعيشه يومياً في سوريا، إنه هالويين الأسد الذي يفرضه على السوريين بشكل يومي".

يذكر أن في عيد الهالويين التقليدي، يتنكر الناس كي لا تعرفهم الأرواح الشريرة عملاً بقول الأسطورة التي ستعود في هذه الليلة من عالم الموتى "البرزخ" إلى الأرض وتسود حتى الصباح التالي. ويتنقل الأطفال من بيت لآخر وبحوزتهم أكياس وسلال ليملأها الناس لهم بالحلوى في طقس يعرف باسم خدعة أم حلوى.

أهالي السويداء يرفضون تسليم أبنائهم للخدمة العسكرية وشبابها يردون «لا للخدمة العسكرية في جيش يقتل شعبه»

جيش النظام يكثف حملات ملاحقة المطلوبين للخدمة

هاجس الخدمة العسكرية يخيم على شباب السويداء كسائر شباب سورية في ظل الحملة الشرسة التي تشنها القوات الأمنية التابعة للنظام في المحافظة لملاحقة المطلوبين للخدمة والاحتياط، بعد أن رفض غالبية من هم في سن التجنيد الالتحاق بالخدمة.

■ السويداء - زليخة سالم

«حسان» 26 عاماً، أحد الشباب الناجين من المداهمة الأخيرة التي شنتها قوات النظام على مدينة شهبا.

يقول «حسان» «عرفت من أحد أقاربي بنية عناصر الأمن والدفاع الوطني مداهمة الحي الذي اسكنه في شهبا، فخرجت من المدينة باتجاه أحدى القرى القريبة».

ويضيف «علمت بعدها أنهم فتشوا بيت أهلي ونصبوا حواجز على مداخل المدينة والشوارع الرئيسية لشهبا وداهموا العديد من عيادات الأطباء ومكاتب المحامين للبحث عن متخلفين عن الخدمة الإلزامية».

ورداً على إعلان النظام التعبئة العامة في صفوف الاحتياط، أطلق شباب في السويداء حملة «لا للخدمة العسكرية في جيش يقتل شعبه»، بعد أن شن النظام وفروعه الأمنية حملة لملاحقة الشباب في سن التجنيد، في البيوت، وعلى الحواجز، وفي أماكن عملهم، إثر خسارته لأعداد كبيرة من عناصره في حربه ضد الشعب السوري، حيث وصلت أعداد المتخلفين عن الخدمة والاحتياط حسب مصادر شبه رسمية إلى أكثر من 47 ألف في دمشق، و15 ألف في السويداء، و16 ألف في اللاذقية، و14 ألف في طرطوس، و19 ألف في حماه.

وكثفت قوات النظام في السويداء منذ أكثر من شهرين حملاتها الأمنية للبحث عن مطلوبين للخدمة الإلزامية كما حدث عندما داهمت قرية «القريا» وقرية «عريقة» وإلقاء القبض على عدد من الشباب وسوقهم إجبارياً للخدمة.

وأدت تلك المداهمات الأمنية إلى حالة من الاحتقان الشعبي في السويداء كما حدث منتصف الشهر الماضي، عندما خرجت مظاهرة بالسويداء شارك بها عدد من شيوخ الدين تندد بالملاحقات الأمنية لسوق الشباب إلى الخدمة الإلزامية.

وتشهد محافظة السويداء انقساماً حاداً في المواقف بين مؤيد ومعارض، وحتى انقسامات بين المعارضة نفسها، لكنها أجمعت وبشكل كامل على رفض التحاق أبنائها بالتجنيد، وخاصة بعد أن تخلى النظام عن حمايتها في أحداث داما الأخيرة، والتي ذهب ضحيتها أكثر من 13 شهيداً من المشايخ والأهالي.

«أيمن» موظف حكومي لديه ثلاثة أطفال قال لسوريتنا «نحن هنا في هذا القسم جميعنا مطلوبين للاحتياط، ونعيش حالة من القلق والترقب، من مداهمتنا وسوقنا في أي وقت، والخيارات أمامنا كلها صعبة، الالتحاق بالخدمة يعني بالنسبة لنا المشاركة بقتل اخواننا، ورفض الالتحاق يعني إما الاعتقال أو الفصل من الخدمة، وتعريض أسرنا وأطفالنا للجوع والتشرد، وليس لنا قدرة على السفر والتشرد خارج سورية، إضافة إلى أن النظام يصطاد الفارين على الحدود ويسلمهم لمراكز التعبئة للالتحاق بجيش النظام».

ويعاني النظام من نقص في عدد الملتحقين بالخدمة العسكرية بعد قراره بزج الجيش في قمع الثورة السورية. وتشير العديد من المصادر في السويداء أن عدد من قضوا وهم يقاتلون إلى جانب النظام من أبناء هذه المحافظة أكثر من 1000 شخص، منذ اندلاع الثورة السورية، إضافة إلى فرار المئات من شباب المحافظة إلى خارج سوريا خوفاً من سوقهم إجبارياً للخدمة العسكرية.

يقول «ك. خ» الذي استنفذ سنوات تأجيله بعد تخرجه من الجامعة «البلاد بأهلها، مثل متعارف عليه في الداخل السوري، ولكن ماذا تكون البلاد لو أفُرغت من أهلها، كان هناك أسباب كثير للهجرة بدءاً بالقصف وصولاً إلى عمليات الخطف والانفلات الأمني وأخيراً موضوع الخدمة الإلزامية».

ويضيف «أنهيت دراستي الجامعية في سورية وخرجت إلى لبنان هرباً من خدمة الجيش، لا أريد الخدمة في صفوف الطاغية بكل بساطة، ولا أريد أن أموت في سبيله».

ورداً على سؤال حول الأسباب التي منعته من البقاء في الداخل والتخلف عن الخدمة، أو إرسال سندات إقامة والعودة إلى البلاد؟ يقول «ك. خ»: «لقد قمت بذلك لكن شعبة التجنيد العامة لم تقبل بهذه السندات، هم يريدون التضييق علينا بهدف أن نخدم في صفوفهم، بعد ستة أشهر ستنتهي صلاحية جواز السفر خاصتي وسأتحول إلى مقيم غير شرعي في لبنان».

بالمقابل لا يفضل كثير من شباب السويداء المطلوبين للخدمة العسكرية الانخراط في فصائل وكتائب تابعة للمعارضة السورية.

كما في حالة «فؤاد» شاب سوري من مدينة السويداء كان يعمل في الأردن وحرمَ من العودة إلى سورية لأنّه أصبح مطلوباً للاحتياط «بعد الاتصال بمعارفي في سورية علمت أني مطلوب لخدمة الاحتياط وفضلت عدم العودة، لأنني شخصياً لا أريد أن يكون لي أي دور في الحرب الدائرة في البلد، لا أريد أن أقاتل لصالح طاغية كالأسد، أو لصالح قوات أخرى».

ويوضح فؤاد «قوات المعارضة أخذت صبغة إسلامية متطرفة لا تناسب تطلعاتي الشخصية، والقوى التي لم تحمل هذه الصبغة لم تنجو من فيروس الطائفية الذي ضرب كل أطياف المجتمع للأسف».

حالة من الاستنفار والغليان تعيشها المحافظة هذه الأيام، ولا أحد يعلم إلى أين ستنتهي الأمور بعد تصعيد النظام لحملاته ومداهمته اليومية لمنازل المطلوبين للخدمة، مع رفض تام من الأهالي تسليم أبنائهم للموت.

"السعودية - الدولة" بذور التغيير تحت الشمس (1)

■ ياسر مرزوق

يشهد عالمنا العربي منذ بضعة أعوام ثوراتٍ تطمح إلى تغيير جذري في بنى ومؤسسات الدولة والمجتمع، وهي ثورات ذات منحى ديمقراطي بمقدار ما تفصح عن أهدافها في تفكيك الأنظمة الاستبدادية القائمة، واستبدالها بأنظمة قائمة على السيادة الشعبية، وهي إلى ذلك ثورات شعبية أخرجت إلى الفعل العام قوى جماهيرية شعبية واسعة من الطبقات الوسطى ومن فقراء ومهمشي المدن والأرياف والأطراف.

وعند قراءة مشهد الربيع العربي يبرز سؤال مشروع، لماذا اقتصرت الثورات العربية على الأنظمة الاستبدادية المتحدرة من حركات التحرر الوطني، بما فيها تلك التي أتاحت أنظمتها هامشاً بسيطاً من الحرية كحالة مصر وتونس، ولماذا بقيت أنظمة الاستبداد السلالية النفطية بعيدةً عن رياح التغيير، وقد يقول قائل إن هذه الأقطار النفطية، -وهي أغنى بلدان العالم من حيث دخل الفرد- ذات انفاق حكومي الواسع قادرة على إرضاء أوسع الفئات المتذمرة بين شعوبها، إلا أن الحاجة إلى التغيير ليست وليدة الحرمان فقط، فنمو الاقتصاديات النفطية خلق مشكلات جديدة بقدر مارفع من تطلعات الناس إلى تحسين أوضاعهم المعيشية وزاد من المطالبة بالحقوق لا العكس.

في البحرين التي شذت عن القاعدة، نزل آلافٌ من شبابها إلى شوارع المنامة واحتلوا دوار اللؤلؤة، استكمالاً لانتفاضة آذار عام 1965 ضد الوجود البريطاني والتي أطلقت مسيرة التحرر الوطني وأفضت إلى الاستقلال، مروراً بكفاح النخبة البحرينية لتقييد حكم آل خليفة في دستور عام 1973، ولاحتجاجات عام 1999، إلا أن الحراك السلمي ووجه بحملة قمع وحشية ما لبثت أن أفضت إلى التدخل السعوديّ الإماراتي، الذي وأد الانتفاضة في مهدها.

وباستثناء البحرين بقيت ممالك النفط حصينةً ضد رياح التغيير، وفي ملفنا اليوم نقصر بحثنا على أكبر الممالك العربية السعودية، التي تمتلك العوامل ذاتها التي دفعت جماهير البلدان العربية الأخرى إلى الحراك والثورة، حيث تتضافر نسب البطالة وما تحمله من انسداد آفاق المستقبل في وجه الشباب، مع عوامل العزل والقمع والضبط الاجتماعي، لتصعيد الغضب ضد نظام الحكم في المملكة، يضاف إلى ذلك سجلٌ حافل بانتهاكات حقوق الإنسان، ومعدلات فساد أخرجت للتداول سؤالاً عن أموال النفط، أين تذهب، وكيف يتم صرفها، هذا هو السؤال الذي يطرحه السعوديون اليوم، لتبقى بذور التغيير تحت الشمس بانتظار يد تدفنها فتتهيأ للنمو.

.يأتي ملفنا اليوم على ثلاث أجزاء، الأول عن نظام الحكم والمعارضة السعودية، والثاني عن المعارضة مابعد حرب الخليج إضافةً للمسألة الشيعية، أما الجزء الثالث فنفصل فيه عن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية للتغيير، ورد النظام الذي يتجه نحو تغليب الأدوار الخارجية وسيلةً لدرء ترددات الانتفاضات الشعبية على أوضاعه الداخلية.

نظام الحكم في المملكة العربية السعودية

ما يميز نظام الحكم في السعودية عن غيرها من الدول العربية هو أنها تأسست على شرعية لم تكن موجودة من قبل ولم تقم على أنقاض دولة قائمة، تمتلك هياكل إدارية جاهزة، بل كانت المملكة عبارة عن مجموعة من القبائل لا تجمعها مرجعية واحدة، وظهر كيان الدولة للوجود منذ اليوم الأول للاتفاق التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، ولم يكن للدستور حضور أو مكان في كيان الدولة، وكان الحاكم يستمد سلطاته من الشريعة في أحكامها الأساسية وفي أحكامها التفصيلية.

وقد مر انتقال السلطة أو وراثة العرش في المملكة بثلاث مراحل، بدأت بالدولة السعودية الأولى"1746 - 1820"، وكان التعاقب على العرش فيها واضح المسار في خط الأب الابن وهذه المرحلة كانت سلسة وسلمية إلى حد كبير؛ على عكس المرحلة الثانية التي عرفت بالدولة السعودية الثانية "19021820"، حيث اتسمت وراثة العرش بكثير من العنف وعدم وضوح المسار على الرغم من أن الغالب فيها هو أنها كانت وراثة مفتوحة تعطي الحق في ولاية العرش لأكبر أفراد الأسرة السعودية سناً.

أما المرحلة الثالثة، وهي الأهم نظراً لاكتشاف النفط في المملكة، والذي أفرز صيغةً للحكم تقوم على أساس التعاقد بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية، وفرض على النظام اعتماد مزيج من سياسات القوة بما تتضمنه من إضعاف للامتيازات القبلية، وتوطيد للقرابات والولاءات، ودعم للأسس الإدارية وللبيروقراطية الضرورية والوليدة، وإتمام الزواج الناجح بينها وبين شركات النفط العملاقة، والمضيّ قدماً في التحالفات الإقليمية والدولية، وتطبيق استراتيجية أمنية انعزالية جامدة ووقائية.

وبحسب الباحث الخليجي "علي خليفة الكواري" فإن هذه الصيغ من نظام الحكم تعود إلى المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع حكام المنطقة. وإلى الموارد التي توافرت للحكومات من دخل الجمارك أولاً، والنفط فيما بعد. وقد أدت هذه التحولات إلى تراجع المشاركة السياسية، بشكل عام، عندما ضعفت مراكز القبائل والعائلات وقويت مراكز الحكّام والعائلات الحاكمة، كما أن منع انفتاح أبناء الخليج على المتغيرات في بقية أنحاء الوطن العربي، سياسة بريطانية متجذرة تهدف إلى إبقاء هيمنة الدول الاستعمارية على هذه المنطقة، وهي تهدف أيضا، إلى الحفاظ على أنظمة الأسر الحاكمة، وعدم تشجيع شعوب المنطقة على مشاركة هذه الأسر في القرار السياسي.

وفي المرحلة الثالثة تم انتقال السلطة عن طريق حصرها بأبناء المؤسس الملك عبد العزيز، بالانتقال من الأخ لأخيه وفي عام 1992 أصدر الملك فهد النظام الأساسي للمملكة، الذي نص في المادة الخامسة منه على، أن نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ملكي، يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء. ويُبايع الأصلح منهم للحكم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبهذه الخطوة عمد الملك فهد إلى سد الفراغ الذي من الممكن أن يحدث في سدة الحكم في حال وفاة أبناء الملك المؤسس وفي عام 2006، وفي خطوة اعتبرت اصلاحية أصدر الملك عبد الله بن عبد العزيز مرسوماً ملكياً بتشكيل نظام هيئة البيعة، من أبناء الملك عبد العزيز وأحفاده، ومهمته تأمين انتقال سلمي وسلس للسلطة في حال فراغ عرش المملكة.

أخيراً استقر النظام في السعودية على نمط لانتقال السلطة بأن يمر العرش في أولاد عبد العزيز؛ ثم مع التحسب لاحتمال انتقال العرش إلى الجيل الثاني أصبحت القاعدة هي إتاحة العرش لكل أحفاد عبد العزيز؛ لكن مع وجود ضوابط تتمثل بالسن والفترة التي قضاها الخلف في العمل الحكومي ونسب الأم والتدين الشخصي والتأييد من جانب العلماء وكبار التجار والشعبية التي يتمتع بها، وبهذا يستثنى من خط الوراثة الأبناء الذين ولدوا لنساء لم يكن زوجات للملك بالمعنى التقليدي المعروف، كما تتم المفاضلة بين الأبناء وفقا للأمهات من حيث أصولهن القبلية.

ومن الصعب اعتبار مجلس البيعة خطوةً إصلاحية فالملك هو من يعين أعضاءه من أبناء العائلة المالكة حصراً، وبالتالي فإن الملك عبد الله أخرج التحالفات والتوازنات العائلية التي كانت تحاك داخل القصور لاختيار الملك للعلن فقط دون الاكتراث بالإرادة الشعبية ولو شكلياً.

المعارضة في السعودية

تبقى سطوة المال على الإعلام العربي والغربي أحياناً قادرة على الإيحاء بأن الحكم مستقر في المملكة العربية السعودية دون وجود معارضة لنظام الحكم، وهي إن وجدت فمن باب الصراع السني الشيعي، ومطامع إيران في المنطقة، إلا أن الواقع يثبت العكس، فالادعاء بإجماع المجتمع السعودي الذي يذخر بالأكاديميين والكتاب والمثقفين، على تأييد الأسرة الحاكمة وموالاتها ضربٌ من الخيال.

والمعارضة لنظام الحكم في المملكة قديمة قدم التأسيس أيام الملك عبد العزيز، وسنعرض لها بحسب التسلسل التاريخي ومن المفيد هنا ذكر روايتي "سمو الأميرة، وبنات سمو الأميرة" للكاتبة الأمريكية "جين ساسون" والتي تسرد فيها بإسهاب وقائع من لب العائلة السعودية المالكة، حصلت عليها الكاتبة من الأميرة "سلطانة آل سعود" وأثارت عاصفةً في المجتمع السعودي، وفي الروايتين يتكرر مشهد احتفاظ الأمراء بجوازات سفر أوروبية وأرصدة في الخارج تحسباً لانقلاب وشيك على نظام الحكم بحسب الكاتبة.

إخوان من أطاع الله

تعد حركة إخوان من أطاع الله أول شكل من أشكال المعارضة المسلحة في السعودية، وهم مجاميع البدو والقبائل الذين هجروا البادية واستقروا في الهجر منذ عام 1911، وشكلوا عماد جيش الملك عبد العزيز في توحيد المملكة، وكانت الأرطاوية هي أول مستوطنة لهم "هجرة" وسميت الهجر بذلك لأن سكانها هجروا حياة الغزو والترحال إلى حياة التمدن والاستقرار، وكان الإخوان ينظرون إلى الملك عبد العزيز بمنظور الإمام والقائد.

ومع إحكام عبد العزيز سيطرته على المملكة بغطاء بريطاني رسم حدودها، أراد الإخوان إكمال الفتوحات في العراق لإرساء الخلافة الاسلامية التي وعدوا بها، وبالفعل هاجموا مخافر حدودية مع العراق عام 1927، وكبدوا الجيش البريطاني خسائر بالغة، وفي عام 1929 حشدت قيادات الإخوان قواتها لشن هجوم بري واسع على

العراق، ما لبث هذا الحشد أن تراجع أمام الجيش البريطاني بقيادة "غلوب باشا"، إلا أن المعارك لم تقف عند هذا الحد حيث توجه الإخوان لمهاجمة أهل القصيم وقبيلة شمر حلفاء الملك عبد العزيز.

وللحفاظ على دولته الناشئة بالاتفاق مع البريطانيين حشد الملك عبد العزيز قواته وتجمعت في الزلفي مع كبرى القبائل المتحالفة معه، لمواجهة الإخوان، مما أدى لانهزامهم، وإصابة قائدهم فيصل بن سلطان الدويش الذي بات على وشك الموت فتركه وعفى عنه عبد العزيز. أما سلطان بن بجاد القائد الثاني للإخوان فقد استجاب لطلب عبد العزيز آل سعود مقابلته في شقراء حيث قبض عليه خلال المؤتمر ثم نقل إلى الرياض وتوفي هناك.

مع القضاء على الإخوان وبالاستعانة بالوهابية كإيديولوجيا أضفى الملك عبد العزيز مشروعية دينية على نظام الحكم إلا أنه فشل في تأسيس شرعية شعبية وقانونية معاصرة، وبقيت العائلة السعودية كعائلة إقطاعية أو قبلية اغتصبت السلطة بالقوة وهيمنت على القرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الجزيرة العربية. وقد استمد هذا النظام أسس بقاءه من خلال التحالف مع الدول الكبرى وشراء الولاء السياسي باستخدام العائدات النفطية الهائلة، واعتماد سياسة التجهيل والتعتيم الإعلامي والمعرفي.

وفي النقطة الأخيرة تقول المصادر الأوروبية إن الخطأ الاستراتيجي الكبير الذي ارتكبه مؤسس الدولة عبد العزيز آل سعود تمثل في إطلاق اسم العائلة على الدولة وهذا ما جعل الكثير من القبائل وأبناء المناطق يحملون عداءً فطرياً للنظام والدولة بحد ذاتها نظاماً سياسياً وجغرافياً، فالكثير من أبناء القبائل يرفضون إطلاق اسم سعوديين عليهم ويردون بنسبهم القبلي أو المناطقي فهذه المجتمعات في المملكة ما زالت تعيش حياة الولاء المطلق للعشيرة والقبيلة والولاء لزعماء القبائل يفوق بكثير الولاء للملك في أكثر من مجال.

الحركة العمالية

كانت الحركة العمالية أول مظهر من مظاهر المعارضة السلمية في المملكة، ففي أواخر الاربعينات هبت على المملكة رياح التغيير التي عصفت في العالم العربي في سوريا ومصر والعراق وأدت فيما بعد إلى الاستقلال وتأسيس الجمهوريات، وقد بدأ النضال العمالي يظهر إلى العلن في المملكة عام 1952، حين برزت لجنة عمال شركة "أرامكو شركة الزيت العربية السعودية" التي تعمل في مجال النفط والغاز الطبيعي والبتروكيماويات والأعمال المتعلقة بها من تنقيب وإنتاج وتكرير وتوزيع وشحن وتسويق، وقد طالبت اللجنة عام 1953 بضمان حق التنظيم النقابي وزيادة الأجور وقطع دابر التمييز العنصري، وتوفير مساكن جديدة للعمال، ودفع أجور النقل، وقد امتنعت إدارة أرامكو عن تنفيذ هذه المطالب وأيدتها في ذلك العائلة المالكة، واعتقل 21عضواً من اللجنة العمالية، كان أبرزهم المعارض ناصر السعيد الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ المملكة لاحقاً.

وفي 17 تشرين الأول من العام نفسه بدأ إضراب شارك فيه زهاء عشرون ألفاً من العمال في أرامكو، وأعرب سكان المنطقة الشرقية عن تعاطفهم مع المضربين، وكان رد الحكومة السعودية حاسماً، فأعلنت الأحكام العرفية في حقول النفط، ووجهت وحدات من الجيش إلى المنطقة الشرقية، إلا أنه ولما كان الاحتجاج موجهاً ضد شركة أمريكية سعودية فقد أبدى الجنود تعاطفاً مع المضربين ولم يلجئوا إلى العنف معهم، مما دعى الشركة للتنازل والقبول بمطالب العمال وتوفير وسائل نقل وعلاوات للجميع، وانتهى الإضراب في تشرين الثاني دون منح العمال حق التنظيم النقابي.

وقد شكل الإضراب العمالي منعطفاً في تاريخ المملكة إلا أن نظام الحكم تعامل معه بدهاء، ففي السنوات التالية شكلت لجنة ملكية للنظر في مطالب العمال في الظاهر، إلا أنها كانت لجنة مخابراتية لملاحقة الناشطين ومراقبتهم.

وفي التاسع من تموز عام 1956 قبول الملك فيصل "ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء في حينه" بمظاهرة شعبية لدى زيارته للظهران مقر شركة "أرامكو" وسلمت إليه مطالب العمال، والتي كان على رأسها السماح بالنشاط النقابي، ووقف التسريح التعسفي، والمساواة بين العمال السعوديين والأمريكان في الحقوق، وإلغاء التمييز العنصري وإصدار قانون يكفل حقوق العمال وكرامتهم.

إزاء هذه الظاهرة الخطيرة أصدر الملك سعود مرسوماً ملكياً يمنع كل الإضرابات والمظاهرات ويوقع على المخالف عقوبة الحبس لمدة لا تتجاوز الثلاث سنوات؛ أيد المرسوم بفتوى تعتبر التظاهر أو الإضراب خروجاً على ولي الأمر وبدأت حملة اعتقال وتعذيب العمال النشطاء وفق قوائم أعدتها الأجهزة الخاصة لأرامكو والأجهزة الأمنية.

رداً على المرسوم المذكور صعدت الحركة العمالية من مطالبها ودعت لإضراب في السابع عشر من تموز من العام نفسه وطالبت بسن دستور للبلاد، وإجازة الأحزاب السياسية والتنظيمات الوطنية، وضمان حق التنظيم النقابي، وإلغاء المرسوم الملكي حول حظر الإضرابات، وإيقاف تدخل أرامكو في شؤون البلد الداخلية، وإجلاء القاعدة الأمريكية من الظهران، وأخيراً إطلاق سراح المعتقلين كافة، قوبلت المطالب بحملة قمع ونفي وحشية ضد العمال حيث اعتقل المئات وتم سجنهم وتعذيبهم، كما تم طرد العمال العرب "فلسطينيين وسوريين ومصريين" خارج البلاد، وطويت صفحة النضال العمالي في المملكة.

جبهة الإصلاح الوطني

في مطلع الخمسينات وبالتزامن مع الحراك العمالي أسس شباب سعوديون متعلمون من منتسبي القوات المسلحة والموظفين ومستخدمي أرامكو المشاركين في الإضراب العمالي، تنظيم ديمقراطي ثوري سري معارض للنظام؛ تحت اسم جبهة الإصلاح، والتي حددت أهدافها بالتحرر الكامل من الهيمنة الأمريكية، واعتماد دستور عصري للبلاد، وإلغاء الرق، وتأميم الصناعة النفطية ومكافحة الأمية وتأسيس مدارس البنات وتوسيع التعليم العالي والمهني.

ولا يمكن فصل جبهة الإصلاح الوطني عن الحراك التحرري الوحدوي الذي كان طاغياً في المنطقة العربية، وكانت صحيفتا "الفجر الجديد" و"أخبار الظهران" لسان حال الجبهة، إلا أن الحكومة قامت بتصفية الجبهة واعتقال أعضائها عام 1956 بتهمة التعاون مع عبد الناصر لقلب نظام الحكم في المملكة، وقد تمكن بعض أعضائها من الهرب ليتابع الكفاح السياسي من المنفى في مصر وسوريا ولبنان.

وكان من زعماء الجبهة الملازم عبدالرحمن الشمراني الذي عمل بين مجموعة من الضباط الشباب في الجيش النظامي وقد سجن مع أربعة ضباط آخرين بتهمة التآمر ضد النظام القائم، ثم أعدم، كما تم اعتقال يوسف الشيخ يعقوب، وعبدالكريم جهيمان رئيسي تحرير الجريدتين المذكورتين بعد أن تم إغلاقهما.

منظمة طلاب المدارس

قبل الحديث عن منظمة طلاب المدارس ومن باب الإنصاف نذكر أن التعليم شهد نهضة واسعة على يد الملك سعود بن عبد العزيز، حيث أسس وزارة المعارف عام 1953 والمدارس في شتى المدن والقرى واستقدم لها مدرسين من الخارج وافتتح أول جامعة في الجزيرة العربية وهي جامعة الملك سعود في الرياض، عام 1957 وألحقها بافتتاح معهد الإدارة العامة للتنظيم الإداري أثناء ولايته الثانية عام 1960 كما منح الفتيات حق التعليم في العام نفسه.

وكنتيجة حتمية لانتشار التعليم خاصةً أن المدرسين كانوا من سوريا ومصر، بدأ حراك الطلبة بالظهور وتأسست عام 1965 منظمة تلاميذ المدارس في مدن عنيزة وبريدة وشقراء والرس؛ وكان من مطالبها الأساسية حل جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي وصف الروائي السعودي "يوسف المحيميد" رجالها في روايته الشهيرة "الحمام لا يطير في بريدة" بحراس الفضيلة، وهم حراس يعتبرون أن مهمتهم كسر أيّ تمرّد، الحرية الفردية أكبر جريمة، انكسر أو مت اختناقاً، أو اهرب".

إضافةً إلى إلغاء جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طالب الطلبة بنظام تعليم علماني على غرار النظام المتبع في مصر وسورياً، وتأسيس معاهد عليا في البلد. وجرت في بريدة اشتباكات بين التلاميذ وجماعة الأمر بالمعروف والشرطة، اعتقل أثرها عشرات الأشخاص وجلدوا.

وكان رد الحكومة جرماً بحق السعودية بكاملها إذ صدر أمر ملكي بمنع دراسة الطلاب في الخارج خوفاً من تلقيهم أفكاراً هدامة بحسب الرواية الرسمية، وصدر مرسوم ملكي يقضي باستدعاء كل الطلبة السعوديين الدراسين في الخارج، وحرمان المخالف الجنسية السعودية. واستثني من القرار طلبة المعاهد الموفدين لصالح الداخلية، وقد استمر هذا المرسوم نافذاً لسنوات.

"امرأة الورد الجوري"

إقبال قارصلي 1925 - 1969

■ ياسر مرزوق

ولدت إقبال محمد ناجي قارصلي في دمشق عام 1925 لأسرة شركسية الأصل تهتم بالثقافة والعلم، تنقلت في طفولتها بين دمر والزبداني ودمشق ومدارسها الابتدائية، بحكم عمل والدها كمدرس في المدارس الحكومية. ظهرت موهبتها مبكراً فبدأت الرسم بالألوان المائية، كما اتقنت التطريز بالقصب والحرير على الأقمشة، وعن هذه الفترة قالت: «كنت أرسم منذ طفولتي.. كما كنت أطرز هذه الرسوم بالقصب والحرير على الأغطية والشراشف، أو أرسمها بالألوان المائية».

درست مع والدها حتى الصف الرابع ابتدائي، لكنها أعادت هذا الصف للمرة الثانية والثالثة ولأنّه لم يكن مُتاحاً أمامها أن تتابع دراستها أكثر من ذلك، بحكم إقامتها في الريف، إلا أنها في الاعادة الثالثة أصبحت تُساعد والدها في تعليم الأطفال.

وفي عام 1940 لم تكن بعد قد تجاوزت الخامسة عشر من عمرها، تزوجت وانتقلت مع زوجها الموظف إلى تدمر وهناك أتيحت لها فرصة اللقاء الحي بمنابع الفن التدمري، والاطلاع على أصول الفن الأوروبي منذ عصر النهضة، فقد شاءت الصدف أن تقيم مع زوجها في بيتٍ غادره ضابط فرنسي مهتم بالفن التشكيلي، ترك فيه بعد رحيله عام 1946 رسومًا على الجدران ولوحات له ولعدد من الفنانين الأوروبيين.

استمرت إقامتها في تدمر حتى عام 1950، وكان لهذه الفترة أثر كبير في تكوين شخصيتها الفنيّة وثقافتها، فوصفتها القارصلي بالقول: «عشنا عشر سنوات بعد أن تزوجت في تدمر، حيث الوحدة وحياة الصحراء، والآثار الفنية.. وذكريات التاريخ بما توحيه من مشاعر يعرفها كل من عاش في تدمر، فكنت أقطع وقتي بالرسوم الحائطية وقراءة الكتب الأدبية، ثمّ تطورت فأصبحت أرسم على القماش، كما أنّ وجود لوحات فنية كثيرة لمُختلف الفنانين الأوروبيين ولمختلف المدارس، كان له أثره على نتاجي.. حيث اطلعتُ من خلالها على منابع الفن الأصيل منذ عصر النهضة في القرن الخامس عشر حتى عصرنا».

لم ترسم إقبال فقط، بل كانت تعلّم الرسم وتساهم في محو الأمية في القرى، كانت فاعلة في توعية المرأة حتى في الجوانب والعلاقات الاجتماعية والصحة الإنجابية ورفض العنف الممارس ضد المرأة والطفل.

عمقت قارصلي موهبة الرسم لديها ذاتياً من خلال انكبابها على القراءات الفنيّة، والاطلاع على المعارض وأعمال الفنانين التشكيليين المحليين والعالميين. غير أن ذلك لم يشبع رغبتها في امتلاك ناصية الرسم والتصوير نظرياً وعملياً، مما دفعها إلى الانتساب لمعهد الجواهري في جمهورية مصر العربية، ودراسة الفن فيه بالمراسلة، وكان ذلك ما بين عامي 1956و1958، حيث أخذت تتابع نشرات المعهد التعليمية، وتُرسل بالبريد رسوماتها وتتلقى الملاحظات والتقريظ عليها.

أنجزت قارصلي كثيراً من اللوحات والرسوم المتعددة الموضوعات، بأسلوب واقعي يميل إلى الاختزال، وذلك ما بين عامي 1954و1969، وقد قدمت هذه الأعمال عبر سلسلة من المعارض الفرديّة والجماعية، الداخلية والخارجيّة، و نالت عليها عدة جوائز وميداليات.

أقامت أول معرض فردي لأعمالها في صالة الفن الحديث بدمشق عام 1964، ما جعلها تقف في طليعة الفنانات التشكيليات السوريات، وواحدة من الرائدات في مجالها، وفي عام 1966وفي صالة المركز الثقافي العربي بدمشق، أقامت معرضها الفردي الثاني، وإثر عدوان عام 1967 رسمت مجوعة من اللوحات التي تعبر عن أفكار اجتماعية وسياسية ذات علاقة بالحرب واللجوء ومأساة الانسان، وفي عام 1968 أقامت معرضها الفردي الثالث في مدينةٍ على بحر البلطيق في ألمانيا الديمقراطية «سابقاً»، نقلته بعدها إلى مدينة أخرى في الدولة نفسها. أما معرضها الفردي الرابع فأقامته في مدينة الثورة على الفرات، وكان هذا المعرض آخر إنجازاتها الفنية، إذ توفيت بعد مدة وجيزة، وهي في قمة عطائها الفني.

تعدّ الفنانة قارصلي من رائدات الواقعية الانطباعية، أغنت الذاكرة التشكيلية السورية بسبعمئة وخمسين عملاً، موزّعة ضمن المقتنيات الشخصية والمتحف الوطني ومجمع الباسل، وتبقى لوحتا «الحمة، وجميلة بوحيرد تحت التعذيب» واسطة العقد في انتاجها الفني.

عانت قارصلي مرضاً مزمناً ناتجاً عن تلقي دمها كمية من الرصاص الموجود في الألوان الزيتية، وهي التقنية اللونية التي اعتمدتها في تنفيذ أعمالها، ومرض التسمم بالرصاص، يعد مرض المصورين الزيتيين، وفي 11 أيار عام 1969 توفاها اللّه بدمشق وهي في قمة عطائها الفني، وفي بداية مرحلة جديدة في تطورها وتبلور تقنية جديدة طورتها بدأب وحماس، وهي التي قالت: «إن ما يربط الإنسان بالفن هو تلك الحاجة للتعبير الإبداعي والتي يتفرد بها الإنسان عن كل الكائنات الحية.. فالفن أداة للتعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية.. والفنان الحقيقي يرى فعلاً أن كل واقع معاش له ارتباط بالفن وكل ما في الفن له ارتباط وثيق بالحياة».

في عام 1971 أقيم معرضها الفردي الخامس في الذكرى الثانية لوفاتها في المركز الثقافي العربي بدمشق تحت إشراف وزارة الثقافة، وفي عام 1985، أقيم معرضها الفردي السادس، الذي جاء بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لوفاتها.

يقول الفنان غازي الخالدي في كتاب صدر عن الفنانة بعد وفاتها: «إن اللوحة عندها هي محاولات لتطريز الطبيعة وأهم ما كانت تمتاز به من الناحية التشكيلية هو وحدة الأسلوب في جميع أعمالها إذ حافظت بإصرار على المفهوم الواقعي الطبيعي وحبها للطبيعة مما جعلها تهتم بجميع التفاصيل التي تمنحها هذه الطبيعة للأرض وللشجر وللسماء وللماء والإنسان.. وهذه التفاصيل أعطت لأعمالها صفة التقريرية الفوتوغرافية وإن كانت تحاول في رسمها للأشخاص أن تتحرر من هذه التقريرية.

وأطلقت عليها الكاتبة اعتدال رافع تسمية «امرأة الورد الجوري» ووصفتها بأنها مبدعة.. أصيلة.. شفافة وجميلة تشبه الزهور التي كانت مغرمة برسمها وتجسيدها.. عندما تنظر إلى زهورها تجبرك ألوانها الذبيحة ان تشم زخم روائحها، كأنها هي امرأة الربيع والعطر والمحبة.

أما الفنان ممدوح قشلان فقد قال: «الفنانة إقبال لم تترك موضوعاً لم تعالجه، من الطبيعة الصامتة إلى المناظر والوجوه الشخصية وحتى الموضوعات القومية، كان لها جهد واضح فيها، ومن أجمل ما قدمت في هذا المجال «إلى متى..؟».

الناقد التشكيلي «طارق الشريف» قال عنها: «لقد كانت الفنانة «إقبال ناجي قارصلي» من الفنانات الموهوبات اللواتي رفدن الحركة الفنية بأعمالهن التي حفلت بالكثير من العطاء، وأعطت الدليل على موهبة أصيلة، أعطت الكثير في ظروف كانت صعبة للغاية، وذلك لأن الحركة الفنية كانت في البداية في مرحلة رواد الفن التشكيلي الذين شقوا الطريق وعبدوه أمام أجيال الشباب، وعلينا أن ندرك صعوبة الانتساب إلى معهد أو مدرسة، وكذلك صعوبة أن يدرس الفن دراسة أكاديمية سليمة».

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة بين الملكية والجمهورية

■إعداد المحامي فارس حسّان

في الأصل يبدو أن النظام الجمهوري يكفل لمواطنيه التمتع بقيم المواطنة بشكل أكبر من النظام الملكي، إلا أن هذه اليقينيةً تبرز سؤالاً تداوله الفلاسفة منذ عهد الإغريق عن أيهما أفضل النظام الملكي أم الجمهوري، فعندما ناقش فلاسفة الإغريق هذه المسألة «أفلاطون وأرسطو خاصةً» كانوا يميلون إلى تفضيل الملكية على الجمهورية، إذا كان لا بد من الخيار، ومعيا

ر الأفضلية بالنسبة إلى هؤلاء الفلاسفة كان القدرة على الحفاظ على استقرار الكيان السياسي، الذي هو القيمة السياسية الكبرى التي تنبثق منها كل القيم، فبدون استقرار سياسي واجتماعي، لا وجود للكيان السياسي، وبدون وجود للكيان السياسي، لا تحقق لأي قيمة أخرى، ولم تأت نظرة هؤلاء الفلاسفة من فراغ، بل إن الأحوال غير المستقرة لدولة المدينة في أيامهم دفعتهم إلى هذه الخلاصة العامة.

كما سار فلاسفة العصر الإسلامي على نهج فلاسفة اليونان في تفضيل الملكية، على مبدأ وجوب طاعة الغالب، لأن في عدم طاعته من المفاسد أكثر من المصالح، فمن حقق الاستقرار، وأقام كياناً تمارس فيه الشعائر الدينية الرئيسية، وجبت طاعته براً كان أم فاجراً، وبأي اسم تسمى «خليفة، ملك، سلطان، أو غير ذلك».

وقد بقيت ثقافة تفضيل الاستقرار حتى العصور الحديثة، «فتوماس هوبز» يرى أن صاحب السيادة إما أن يكون مستبداً بالأمر أو لا يكون، فالاستبداد السياسي مرادف للاستقرار، وغير ذلك هو الفوضى وحال الطبيعة، فالمعيار هنا هو تماسك الكيان السياسي واستقراره، ويفصل «ميكافيللي» في الأمر، ولا يعمم بشكل مطلق، فإذا كانت سلامة الكيان السياسي، والاستقرار السياسي بالتالي هما غاية النظام، والقيمة الرئيسية التي يدور حولها، وتنبثق منها كل قيمة أخرى فإن في الأمر قولين: إذا كان المجتمع غير فاضل فإن الملكية أفضل، وإذا كان المجتمع فاضلاً، فإن الجمهورية أفضل.

والملكية والجمهورية بالنسبة إلى فلاسفة الإغريق، لا تعني ما تعنيه اليوم، أو ما يتوارد إلى الذهن العام حين الحديث عن مثل هذه المفاهيم، فالملكية بالنسبة إلى فلاسفة الإغريق عامةً، هي حكم الفرد الملتزم بالقانون، سواء أكانت شرعية هذا الفرد الأساسية نابعة من وراثة أم غير ذلك، فالمهم توفر ركنين لوصف النظام بالملكية، حكم فردي والتزام بالقانون، والنظام الملكي وفقاً للمواصفات السابقة، هو أفضل نظام سياسي ممكن لفلاسفة الإغريق، ويقابل ذلك الاستبداد والطغيان، وهما حكم الفرد عندما لا يلتزم القانون، وهذا هو أسوء نظام ممكن.

وبالانتقال إلى واقعنا المعاصر، فإن بعض الملكيات العربية أكثر نجاحاً في تحقيق مكتسبات المواطنة أكثر من الجمهوريات، فمملكة مثل الكويت مثلاً أكثر نجاحاً نسبياً في إدارة داخلها وخارجها من الأنظمة الجمهورية وأكثر تحقيقاً لبعض معايير المواطنة من غيرها.

و الجمهورية: هي النظام السياسي الذي تكون فيه السيادة للشعب، وهي ترجمة «Republic» المنحوتة من اللغة اللاتينية من كلمتي 'Res' (شيء، شأن) و'publica' (عام). وهو ما يبيّن أن كلمة 'جمهورية' تفيد بأنّ الشأن السياسي هو شأن عام وليس خاصاً بفئة أو مجموعة.

وللنظام الجمهوري ثلاثة أشكال، النظام الجمهوري الرئاسي: هو نظام الحكم الجمهوري الذي ينتخب فيه الشعب رئيسا للجمهورية انتخابا مباشراً، ويُفوض الشعب له، بالتالي من خلال التصويت بالأغلبية، تعيين الحكومة التي يراها صالحة للبلاد على أساس التشريعات التي يسنّها الشعب عبر المجلس البرلماني الذي يمثل سلطة مقابلة على أساس مبدأ «المراقبة والتوازن كما في الولايات المتحدة. وهو ما يمنحه سلطات مُعتَبَرة متفاوتة الحجم والمدى من جمهورية إلى جمهورية، ومن دستور إلى دستور.

النظام الجمهوري البرلماني: هو نظام الحكم الجمهوري الذي ينتخب فيه الشعب رئيسا للجمهورية يكون دوره رمزي وتحكيمي وتعديلي في بعض الوضعيات كضامن لدستور ووحدة البلاد دون أن يكون لديه السلطة التنفيذية. أمّا هذه الأخيرة، فيتقلدها وزير أوّل أو رئيس وزراء من بين المُنتخبين في المجلس البرلماني الحاصلين على الأغلبية المطلقة، كما 'تتقاسم' المناصبَ الحكومية الهامّة شخصيات من منتخبي المجلس البرلماني على أساس النتائج التي تحصّل عليها كلّ حزب.

النظام الرئاسي المزدوج: هو نظام ينتخب فيه الشعب رئيس الجمهورية كمسؤول عن السلطة التنفيذية، لكن ذي مشمولات محدودة تخوّل للبرلمان دستوريّاً توجيه «لائحة لوم» له في صورة تجاوزه لسلطاته المخوّلة له قانونا أو في صورة انتهاجه سياسة لا تخدم مصلحة الوطن، فضلا عن أهليته لرفض قانون أو مشروع يقترحه رئيس الجمهورية للسّنن. ووُصِفَ بـ'المزدوج' باعتبار وجود وزير أوّل له من المشمولات ما يحدّ كذلك من سلطات رئيس الجمهورية، خصوصا إذا فَرضته وضعية انتخابية معيّنة يكون فيها رئيس الجمهورية والوزير الأول من حزبين مختلفين. ومثال في هذا النظام فرنسا.

وقد يقول قائل أن المقارنة بين الجمهوريات والملكيات العربية من خلال إتاحتها أشكالاً من المواطنة النسبية، لا تجوز كون الملكيات العربية تملك من الموارد «النفط وغيره» ما يجعلها قادرة على إخفاء السلبيات، وتحقيق بعض الايجابيات، وبدون عنصر الموارد هذا فإن المقارنة لن تكون لصالح الملكيات على الإطلاق، وهذا يرد عليه بأنه إن كانت الموارد والثروات هي السبب، لماذا تكون ملكية فقيرة نسبياً مثل الأردن أفضل حالاً من العراق الجمهوري أغنى الدول العربية على الإطلاق، إلا أن هذا لا يعني أن النظام الجمهوري فاسد بطبيعته وذاته، فجمهورية كتونس مثلاً تحقق انجازات لا يمكن تجاهلها على صعيد المواطنة مقارنة بجمهوريات وملكيات عربية أخرى.

في الختام نخلص إلى أن معيار المواطنة وما يؤسس له من قيم الحقوق والسيادة الشعبية «الحرية، الديمقراطية، العدل، المساواة» - وهي قيم تجعل من الإنسان لا قِنّاً ولا عبداً ولا مملوكاً، ولا مقهوراً وبالتالي لا كائناً اجتماعياً - سياسياً من الدرجة الثانية. أي هو إنسان سيد يقر له بالسيادة مبدأ وقانوناً - هو القيمة المفقودة في عالمنا العربي، ومن خلال قدرة أي نظام على أن يكفل المواطنة لأفراده، تتحدد قدرته على البقاء، سواء كان ملكياً أم جمهورياً، ومن خلال تبنيه لاستراتيجية واضحة المعالم لتعزيز المواطنة، فالقضية الأساسية هي قدرة النظام على الرؤية الصحيحة وليس في كونه ملكياً أو جمهورياً.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1993 / 1 / 22

جاءت زيارة الدكتور منذر خدام. حمل أهله تطمينات رئيس المخابرات العسكرية وهي:

1 - إن خروجهم –أي فصيلنا - مؤكد وسوف يتم الإجراء.

2 - ليس لنا عليهم مآخذ.

3 - كنا أدرجنا اسمه في الإفراجات السابقة لو راجعنا أحد منكم (الخطاب لأهل الدكتور).

4 - من الممكن أن تكون القوائم جاهزة في آخر هذا الشهر.

5 - في 8 آذار ستكون كل القوائم حاضرة.

زيارة زهير سكرية حملت خبر وفاة والد وديع الحلاق وعامل الميناء، الذي لم ير ابنه منذ عام 1976 تخفى يومها في اللاذقية، ثم انتقل إلى دمشق حتى اعتقل في ربيع 1980، ومضت السنون، والأب المسكين ينتظر ابنه ورآه وراء القضبان ثلاث مرات، ثم انقطع منذ ثلاث سنوات.. الحزن والربو أحاقا به، وعندما خرجت دفعة 20 الشهر الماضي.. فرح، وخال ابنه من جملتها، ومن فرحه داهمه الربو وقضى. الأم مقعدة ومريضة.

أهلنا ماتوا ونحن في السجن. ماتوا من الغم.

أذكر أن أم أحد الشباب جاءت لزيارته، وكانت لا تجرؤ خوفاً من حزنها، وللصدف كنا معاقبين، ونزور على شبكين في غرفة مظلمة ومن هول الصدمة.. صارت تسير أمام الشبك وتدور، وتترجى العسكر أن يخرجوه من وراء الشبك وتلمسه.. عندما وصلت بيتها في القرية ماتت.

أم سجين آخر زارته في الغرفة وانتهت الزيارة، وهي متمسكة برجليه وقد جلست أرضاً، وتترجى العسكر أن تبقى معه في السجن، وما وصلت الدار إلا ونامت، وما استيقظت من نومها.

قال أهل أحد رفاقنا: أن امرأة صادفتهم حول أسوار السجن (كان ذلك في تدمر) رجتهم أن يدخلوها معهم، فالعسكر يطردونها وذلك منذ أيام، وهي لا تطلب منهم أمراً فقط تطلب أن ترى ابنها. قال لها أهل رفيقنا: أنهم يحملون بطاقة زيارة تحمل أسماء محددة رجتهم مرة أخرى أن يكتبوا اسمها مع أسمائهم.. أفهموها أن البطاقة تصبح فاسدة، وعندما يئست أخرجت من جيبها مبلغاً من المال، وقالت لهم أن يوصلوا المبلغ لولدها، وأعطت اسمه. قالوا لها: إن ابنك في مكان، وابننا في مكان آخر، ولا يلتقيان، ولكنها لم تيأس. عادت تؤكد أنها تتبرع بالمبلغ لصالح المساجين ولوجه الله.

قبل إغلاق الأبواب مشيت مع الزميل الصحافي أحمد حمود.. شكا من تأخر الزيارة. في تلفيتا صارت الزيارة كل شهر، أما في تدمر فكانت كل ثلاثة أشهر.

قال: مضت ثلاثة أشهر.. أم كفاح مريضة، أخي الضابط كان يوصلها، نقل إلى لبنان. إنني خائف عليها.. مسؤولة عن خمس بنات وولد ومقيمة بالدريكيش بدون عمل ومصابة بالقرحة، وبالحزن الدائم.

الإفراج لم يأت لعلني أرمم أوضاعي. أقدم لهذه الزوجة بعضاً من جميل يرد لها عافيتها، وثقتها بالأيام والزمن. أخاف أن أتأخر في السجن، فيزداد تراكم الهم، إنني في غمّ، وأخشى أن يقع لها مكروه.

1993 / 1 / 23

تحلق المعزون حول وديع إبراهيم ودارت القهوة المرة وذهبت الأحاديث حول نهاية الإنسان، ثم وصلت إلى الانتخابات في الجزائر.. وكان السجال متكافئاً بين الدكتور منذر خدام وبين مدرس التاريخ حسن غريب، واحتد النقاش حول مسألة الديمقراطية، وتدخُل الجيش، والإعداد لمرحلة ليست لمصلحة جبهة التحرير، وليست لصالح الإمبريالية، وليست لصالح جبهة الإنقاذ، لأن ما يدعى بالاستفتاء والديمقراطية هي مقدمة لمؤامرة تؤجج أدوارها السعودية وإيران ويمكن أن تستفيد منها فرنسا والمصالح الأمريكية. ويرد الآخر بأن هذا منطق السلطة التي تصور المعارضة أنها قادمة على أكتاف التدخل الخارجي، ونفس السلطة تتعاون وتلاطف المصالح الأمريكية والأوربية. فهي حسب منطقها تتعاون مع الحضارة ضد التعصب. فالتيار الديني – كما تقول – ظلامي وغير حضاري، وهنا يضيع المواطن بين الوطنية والتبعية.. فالديمقراطية مقرونة بالوطني، وما يطبق في الإتحاد السوفييتي لا يمت إلى الديمقراطية بصلة. فالديمقراطية المطروحة من قبل أمريكا هي لعبة فالعراق الذي يطالب بذلك النظام السعودي وهو حكم عائلي قبلي يحكم باسم الدين وهو ضد الدين والوطن. استبدادي من نوع فريد، ولماذا لا يطالب النظام السوري خدين النظام العراقي.

لقد كان رأي الاثنين صحيحا. قدما حججهما. إن المسألة الديمقراطية شائكة في هذا الوطن. الصراع دليل الحيوية، وضع الصراع الذي يقتل الأوطان.

1993 / 1 / 24

منذ شهر شعرت بحالة مفادها الشره في شرب الماء، ونشفان الريق، وتزداد هذه الحالة عند المساء، وتفاقمت مع البرد يصاحب ذلك تردد على دورة المياه للتبول، والنهوض ليلاً عدة مرات خوفاً من التبول على الثياب. أخبرت طبيبنا المحلي، وقلت: - أن المصاب بالسكري يشرب الكثير من الماء ويتبول كثيراً. قال: الحالة عادية.. وربما الجو البارد وغير الصحي هو السبب.

مضى النهار هادئاً. ودافئاً قليلاً بسبب الشمس وحرارتها.

البارحة ليلاً سهرنا مع رفاق الرقة.. دار الحديث عن «العربيد» وهو المدعو في منطقتنا «الحنش» وهو ذكر الأفعى، ويظهر في الحروبين حزوز الحصيد، وفي الدغل جوار الأنهار. تحدثوا عن نهر البليخ، وعن هذا النوع من الأفاعي السام وغير السام. وأنه عض أحدهم في كعبه، وظل ممسكاً به، فهرب الشخص مسافة مئة متر وهو لا يتركه.. حتى وصل النهر فرمى نفسه فيه، عندئذ تركه، وعندما وصل الضفة الأخرى استأنف السير حتى وصل القرية، والدم ينزف، عالجوه، وأكدوا بعد ذلك أنه غير سام ولو كان ساماً لما وصل القرية حياً. «عربيد» آخر لف ذنبه على طفل ورفع قامته ضد المهاجمين. أحدهم حذّر من ضربه بالحجارة لأنه يمكن أن يلدغ الطفل ويميته. نفسه الرجل خلع ما يشبه الجاكيت وغطى جسده بها ثم قبض على رأسه وشجه بحجر تحت المعطف وأنقذ الطفل. وتحدثوا عن رجل له خبرة بالتعامل معه.. يداوره حتى يمسك به، ويطعمه تمراً، ثم يهدئه، ويخلي سبيله، ولم يلدغ هذا الرجل أبداً، رغم إمساكه للعشرات وإفلاتها حية.

استمر الحديث عن نهر البليخ، وعن الرعاة، وعن العربيد الذي يتعارك مع كلاب الرعاة. وقال أبو صلاح: كنت فتى وأنام جوار قطيع الغنم الجاثم والكلب يقوم بالحراسة. استيقظ على تحركات مشبوهة وحدق من خلال ضوء القمر، فرأى / عربيداً / يهاجم الكلب، والكلب يدور حوله على مسافة عشرة أمتار. الكلب يطرحه أرضاً. العربيد ينهض ثانية.. ثم يهاجمه الكلب مرة أخرى حتى قتله. قاس طوله فإذا به يبلغ ثلاثة عشر قدماً، ودائرته دائرة الساعد.

أحب الناس، وأكثر من أحب الطيبون منهم. أما اللئيمون، فإني أتمنى لهم الطيبة علهم ينعمون بها يوماً

ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

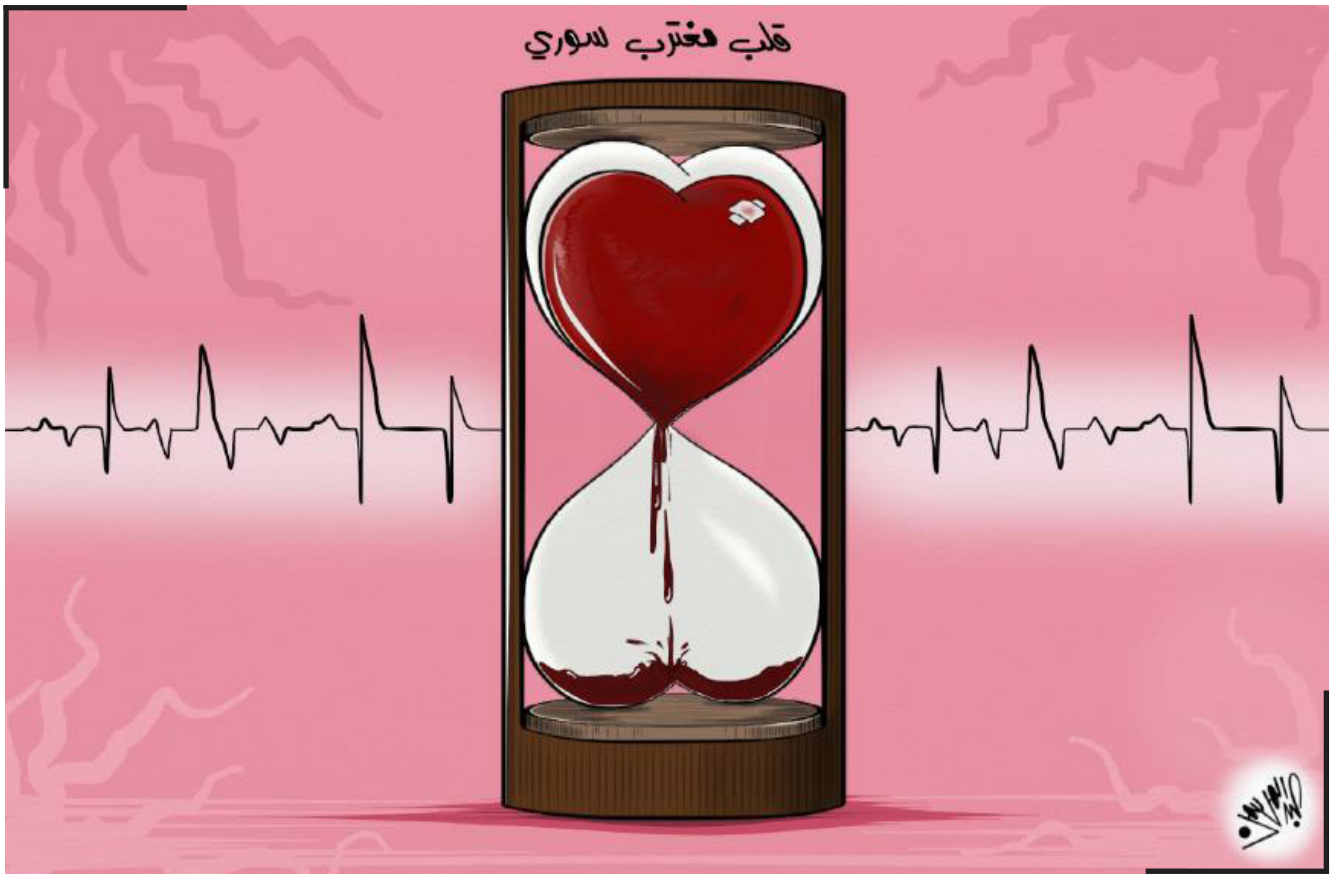

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

التعليم في ظل الحرب الدائرة

■ مهند النادر

إحدى النتائج السلبية للصراع الدائر في سوريا تتجسد في العملية التعليمية، حيث يعاني آلافٌ من التلاميذ صعوباتٍ في استكمال تحصيلهم الدراسي بسبب ظروف الحرب الدائرة، والتي أفرزت التشرّد، النزوح، اللجوء، بالإضافة إلى دمار آلاف المدارس أو تحولها إلى مراكز عسكرية تستخدمها الأطراف المتصارعة. مما ينبئ بنشوء جيل يكون عرضة لمختلف التأثيرات السلبية في بناء شخصيته ورؤيته للمستقبل.

خلال نظرة سريعة على واقع التعليم الذي يخضع له من تمكّن من أطفال سوريا من استكمال دراسته، نجد أن العديد من المناهج التعليمية التي يخضع لها التلاميذ، خاضعة لرؤية الأطراف المتصارعة في سوريا بخصوص مستقبل سوريا الجديد.

مع بداية العام الدراسي بدأ تنظيم «الدولة الإسلامية» بتعميم تعليمات عامة تهدف إلى تغيير النظام التعليمي، وشملت هذه التعليمات مجموعة واسعة من قواعد التعليم، مما يشكل تغييراً جوهرياً في العملية التعليمية من حيث حذف بعض المناهج أو تغييرها كلّياً، على قاعدة الرؤية الدينية السلفية التي تتبناها «داعش». وتم الإعلان عن هذه التعليمات من خلال بيان رسمي أصدرته «دائرة المناهج في ديوان التعليم» وهو اسم أطلقه التنظيم بديلاً عن وزارتي «التربية» و«التعليم العالي» بعنوان «بشرى من أمير المؤمنين وسعي منه لرفع الجهل، وتعميم العلوم الشرعية».

"الأستاذ عبد السلام" مدير مدرسة في مدينة الرقة يقول حول هذه التغييرات: "تم تغيير اسم الجمهورية العربية السورية، إلى الدولة الإسلامية، وحُذف أي موضوع يرتبط بالقيم الوطنية، وكل ما يختلف مع الرؤية الدينية للتنظيم، مثل الشعر، دروس الموسيقا والرسم، إضافة إلى عزل الذكور عن الإناث، ومنع حضور المعلمين في مدارس البنات والعكس".

ويعلق المدرس "محمد" حول ذلك بقوله: "لقد منعوا الدروس في أوقات الصلاة، وألزموا الجميع بالزي الإسلامي حسب رؤيتهم، وتم منع تدريس مواد الفلسفة والتاريخ والتربية الدينية الخاصة بالأقليات، لأنهم يعتبرونها محرمة دينياً"، وفيما يتعلق بمادة التربية الدينية "فرض التنظيم مناهج التربية الدينية المعتمدة في السعودية بدون أي تغيير جوهري فيها، كما نشر كتيبات حول العديد من العناوين المرتبطة بالإسلام وأحكامه"، حسبما ذكر الأستاذ عبد السلام.

كما تعلّم "داعش" الأطفال من سن العاشرة كيفية استخدام المدية للذبح، وتعمّم ثقافة العمليات الانتحارية وغيرها من المفاهيم الخاصة بها.

مع أن المرجع الفكري للفصائل الإسلامية واحد، نجد أنها لا تجتمع على منهاج موحّد لتعليم التلاميذ، بل هناك اختلافات نسبية بينها، رغم أنها جميعاً تستند إلى الخلفية العقائدية الجهادية، حيث تميل فصائل "لواء الإسلام" و"أحرار الشام" إلى منح التعليم الديني الحيّز الأكبر في تعليم الأطفال "لخلق جيل مختلف عن جيل البعث، يجد كبرياءه في الإسلام" كما صرح أحد الشيوخ القائمين على العملية التعليمية في "أحرار الشام". ويخضع الطلبة لتدريب عسكري بعد سن الثانية عشرة، ويؤدون التحية الصباحية قبل الدخول إلى الصف، تماما مثلما فعل النظام، حسب الناشط "قاسم ب" من ريف إدلب. كما أن "جبهة النصرة" وفق عقيدتها كفرع من تنظيم "القاعدة"، تنظر إلى الفتيان بين سن 10 – 15 عام على أنهم "مشاريع جهادية"، وتعمل على تعميم عقائدها من خلال استخدام المدارس ودور العبادة.

وفي مناطق "الإدارة الذاتية"، تسعى الهيئات الكردية إلى فرض واقع جديد من خلال بناء نموذج خاص بها، حيث تشير المعلومات إلى أنه تم اعتماد مناهج كردية خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي تعتمد اللغة الكردية كلغة أساسية، واللغة العربية والإنكليزية كلغات ثانوية، كما ألغيت مواد التربية الوطنية وتم تغيير اسم الجمهورية العربية السورية إلى الجمهورية السورية، ويرفع العلم الكردي فوق رؤوس التلاميذ.

أما في المناطق التي يسيطر عليها النظام، رغم بدء الدراسة حسب المناهج المعتمدة قبل الحرب، إلا أن حال المدارس وصلاحيتها يحول دون التحاق جميع التلاميذ بمقاعد الدراسة، فحكومة النظام التي أعلنت عن التحاق 4، 3 مليون طالب في جميع مدارس سوريا، البالغ عددها 17700 مدرسة، تتجاهل بأرقامها حالة الحرب الدائرة في البلاد وتقدم أرقاماً على الورق، حيث تشير الإحصائيات الحديثة إلى أن 1385 مدرسة قد دمرت في أنحاء سورية، وأصبح 4606 من المدارس خارج العمل، كما خصصت 680 مدرسة لإيواء النازحين من المناطق المختلفة.

وفي دول الجوار "لبنان، الأردن وتركيا"، حيث يتجمع السوريون في مخيمات اللجوء يتلقى التلاميذ تعليمهم حسب مناهج بلد اللجوء، ففي الأردن يدرسون المناهج التعليمية الأردنية، وكذلك في لبنان.

أما في تركيا يتلقى الطلبة السوريون منهاجاً أقرته هيئات التربية في الحكومة المؤقتة، وهو ذات المنهاج السوري القديم بعد أن تم حذف مواد التربية القومية والمعلومات التي تشير إلى وجود النظام، مع التركيز على مادة التربية الدينية والإرشاد الديني.

إن هذا الواقع الذي وصل إليه قطاع التعليم "يعتبر الأسوأ والأسرع تدهوراً في تاريخ المنطقة" وفق تقرير اليونيسيف، ويُخشى من أن ينشأ جيل من الأطفال دون "15 سنة" يكون ضحية للأمية، مما يعرضه لكافة أشكال التشوه السلوكي والعقائدي نتيجة تأثير الأطراف المتصارعة عليه، إضافة إلى تأثير المناهج المختلفة التي يتلقاها الطلبة السوريون على الهوية السورية.